جامعـــــة الجـــــزائر 1

كلية العلـــوم الإسلامـــــية

قسم الـــــــعقائد والاديان

السياق وأثره في فهم الحديث عند أبي العباس القرطبي ت(656هـ) من خلال كتاب المفهم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالب:

حمزي رفيق

الموسم الجامعي

1437- 1438 هـ / 2016- 2017 م

جامعـــــة الجـــــزائر 1

كلية العلـــوم الإسلامـــــية

قسم العقائد والاديان

السياق وأثره في فهم الحديث عند أبي العباس القرطبي ت(656هـ) من خلال كتاب المفهم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالب:

حمزي رفيق

إشراف الدكتور:

حدبي بلخير

1437- 1438 هـ / 2016- 2017 م

جامعـــــــة الجـــــــزائر 1

كلية العلـــــوم الإسلامـــــية

قسم العقائد والاديان

السياق وأثره في فهم الحديث عند أبي العباس القرطبي ت(656هـ) من خلال كتاب المفهم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالب:

حمزي رفيق

إشراف الدكتور:

حدبي بلخير

أ/د حورية عبيب........... ...	رئيسا
د/ حدبي بلخير..................	مقررا
د/فاطمة الزهراء سواق.........	عضوا

1437- 1438 هـ / 2016- 2017 م

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين ، اللهم ارض عنها وأطل عمرهما ، وأحسن عاقبتهما ،واجعل الجنة مثواهما.

إلى مشايخي و أساتذتي الذين تربيت بين أيديهم فنهلت من علمهم وأدبهم ، و أناروا أمامي معالم الطريق.

إلى زوجتي وولدي الحبيب .

الى كل من أفنى عمره ،وأحرق زهرة حياته في سبيل العلم والاسلام

إلى الإخوة و الأخوات، إلى أحبابي و أصدقائي، والعائلة الكريمة

إلى كل هؤلاء أقدم هذا العمل المتواضع راجيا من الله تعالى أن يكون خالصا لوجهه، و أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لاينفع مال ولابنون واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

شكر و تقدير

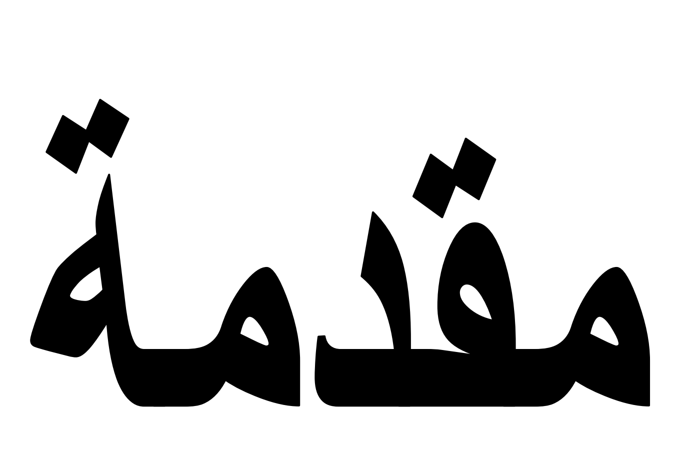
أتوجه بالشكر لله تعالى على منّه و كرمه و توفيقه، و نعمه عليّ التي لا أستطيع لها حصراً

و أتقدم بخالص الشكر ، و عظيم العرفان ، و وافر الاحترام ، و كامل التقدير ، لمن أحاطني بعنايته، و خصني برعايته ، و قاد خطاي في هذه المذكرة ، فضيلة الدكتور المشرف "حدبي بلخير"، فقد استفدت من ملاحظاته و توجيهاته السديدة، و استدراكاته القيّمة، يزيّن كل ذلك أدب جمّ، و تواضع غير متكلف ، ففتح لي صدره و قلبه، و لم يشرعني أبدأ أنه الاستاذ ، و ان يبارك له في أهله و ولده.

و لا يسعني إلاّ أن أتقدم بالشكر الجزيل و العرفان ، لهذا الصّرح العلمي، كلّية العلوم الإسلامية، التي تلقيت العلم بين جنباتها في مرحلة الليسانس و يسّرت لي اليوم سبل الاستمرار في تحصيل العلم و مواصلة الدراسة.

كما أتقدّم بالشكر و التقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموّقرين على تفضّلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة التي تثريها و ترفع من قيمتها، و على نصائحهم و توجيهاتهم، سائلا المولى أن ينفعني بها.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين


مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : 102]

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : 1]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : 70]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، وبعد:

فإنّ الحديث النبوي هو الأصل الثاني في التشريع بعد القران الكريم؛لذلك إعتنى المسلمون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فهو المبيّن لكتاب الله عز وجل وصدق الحق إذ يقول : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحي يُوحَىٰ﴾[النجم :3-4]

فتصدى العلماء لذلك بحفظ السُّنة في الصدور، والسطور ،فتجشموا وعثاء السفر،وقطعوا الشاسع من البلاد لأجل الظّفر بحديث أومثله ، لمكانة حديث النّبي صلى الله عليه وسلم عندهم ،فظهر تدوين الحديث وجمعه في القرن الثاني للهجرة ،بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز؛للإمام ابن شهاب الزهري ويعد موطأ مالك رحمه الله من أهمّ الكتب المدونة في القرن الثاني للهجرة .

ويعتبر القرن الثالث للهجرة العصر الذهبي لتدوين الحديث وجمعه ،فألفت الكتب السّتة ،ومن بين الكتب التي ألفت في جمع الصّحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،صحيح الإمام مسلم بن الحجّاج ت"264ه" فحاز على مرتبة عاليه بين

الكتب التي أُلفت في جمع الحديث،فاعتنى به العلماء –سيما المغاربة- شرحا ،واختصارًا، فممّن اختصره ،ثمّ شرحه الإمام أبو العباس القرطبي في كتابه الذي سماه بـ:"المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم "

ويعد شرح الإمام القرطبي من أهمّ الشُّروح على صحيح مسلم ،فهوحلقة وصل بين شرحي المازري والقاضي عياض،ثم الأبِّي والسنوسي بعده .

والقرطبي رحمه الله قد اهتم بحل الأحاديث المشكلة في صحيح مسلم ،وإزالة مابينها من تعارض ،كما اعتنى بشرح الكلمات اللغوية وإيراد تفاصيل الكلمة الواردة، من خلال الروايات المتعددة مستعينا بقواعد علمية وضعها المحدثون ،وأخرى ساروا عليها في تطبيقاتهم،كالسياق بنوعيه اللغوي و الحالي وكان ممن أدرك اهتمام القرطبي بالسياق ، فضيلة الأستاذ المشرف جزاه الله خيرا، حيث إنني لما استشرته في الموضوع الذي اختاره ليكون مذكرتي للماجستير أشار علي بدراسته ،وإبراز جهد علمائنا في شرحهم لحديث رسول الله وحول هذا كان مشروع البحث الموسوم بـ: **السياق وأثره في فهم الحديث عند أبي العباس القرطبي من خلال كتاب المفهم لنيل درجة الماجستير.**

وبمشيئة الله تعالى أحببت أن أشارك الباحثين في هذا الموضوع بالدراسة, ولهذا الاختيار أهمية ودوافع وأسباب سأذكر جملة منها.

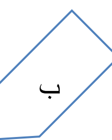
أسباب اختيار الموضوع:

1 –الميل الى الدراسات الحديثية خاصة فقه الحديث.

2 – يعتبر الكتاب الذي أقوم بدراسته من أهم الشروح على صحيح مسلم ؛والذي هو من أهم الكتب المصنفة في جمع الصحيح.

3 – قلة الدراسات التي تعتني بالسياق ،وتطبيقاته عند شراح الحديث، سيما القرطبي .

4 – معرفة الخصائص الحوارية في مخاطبات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، التي تساعدنا على إدراك الفعل التواصلي بين المخاطبين.



5 –التقعيد لفهم النص النبوي ،حيث كثرت في عصرنا الفهوم غير المنضبطة، وهذا يتطلب توضيح منهج الائمة في كشف مراد النبي صلى اله عليه وسلم ،ومدى اعتمادهم على السياق خاصة فيما يظهر أنه مشكل .

6-غياب هذا النوع من الدراسة حول الامام أبي العباس القرطبي

إشكالية البحث:

جعل العلماء قواعد تضبط مسالك الفهم ، وتعصم من مزالق الزلل والتيه، فمن أنواع علوم الحديث التي تمثل معالم كبرى في طريق الفهم السديد: علم مختلف الحديث، علم ناسخ الحديث ومنسوخه، علم أسباب ورود الحديث وغيرها،كما اعتنوا بالسياق في تطبيقاتهم في فهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينهم الامام أبو العباس القرطبي في كتابه المفهم وتكمل اشكاليه البحث:

1-ما مدى اعتماد السياق في فهم الحديث عند الامام القرطبي ؟وماهي الأثار المترتبة على هذا الاعتماد ؟

2- - وهل دلالة السياق تعد من ضوابط الفهم السديد للنصوص يجب مراعاتها، أم شيء زائد ومساعد يمكن الاستغناء عنه .

الدراسات السابقة

قمت بالبحث ما أمكن في المكتبات وفي الفهارس التي خصصت للرسائل الجامعية,فلم أجد دراسة تكلمت عن السياق عند أبي العباس القرطبي ؛لكنني وجدت رسالتين عن الامام القرطبي بجامعة اليرموك بعنوان:ايات الأحكام في كتاب المفهم للامام أبي العباس القرطبي "656هـ"

إعداد الطالب:محمد عواد سليم الخوالدة لنيل درجة الدكتوراه تحت إشراف د/يحي الشنطاوي تمت مناقشتها في:03-05-2012م

- الآراء الأصولية عند أبي العباس القرطبي من خلال كتابه المفهم"، ساعد غلاب، كلية أصول الدين بالخروبة، جامعة الجزائر تحت إشراف د/علي عزوز تمت مناقشتها سنة 2002

وهاتان الرسالتان متعلقتان بالجانب التفسيري والأصولي لدى القرطبي فقط، لكنني استفدت منهما في الترجمة للقرطبي .

ووجدت رسائل كثيرة حول دلالة السياق من بينها:

1-دلالة السياق لـ:ردة الله الطلحي لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة بجامعة أم القرى تحت إشراف أ-د/عبد الفتاح عبد العليم البركاوي تمت مناقشتها في:02-06-1419ه

2-التطور الدلالي في ألفاظ غريب الحديث-دراسة وتحليل-لـ:شاذلية سيد محمد السيد محمد لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية بجامعة الخرطوم تحت إشراف أ.د/عبد الله محمد أحمد تمت مناقشتها ماي 2010

كما وجدت رسالة قريبة من موضوع بحثي حول:أثر السياق في توجيه الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني لــ:أحمد مصطفى الأسطل تحت إشراف د:فوزي ابراهيم موسى أبو فياض قدم هذا البحث لنيل درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة غزة المفتوحة 2012-2013

وهناك بحوث ومقالات أخرى حول السياق وأثره في فهم الحديث ألقيت في ندوات علمية منها:

1- دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي د. عبد المحسن التخيفي

2 - أثر السياق ، وجمع الروايات ، وأسباب الورود في فهم الحديث – دراسة تطبيقية – عبد الله الفوزان

- أُلقيا البحثان ضمن ابحاث السيرة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد،ندوة علمية رابعة في رحاب كلية الدرسات لاسلامية والعربية بدبي،-1430/4/24،ط:1430ه-2009م

3- مراعاة السياق وأثره في فهم السنة النبوية د/فاروق حمادة هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء في موضوع: " أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام" التي أقيمت أيام: 10-11-12 جمادى الثانية 1428هـ الموافق لــ: 26-27-28 يونيو 2007م. بمدينة الرباط-المملكة المغربية

وبعد قبول عنوان رسالتي لنيل شهادة الماجستير ،صدر بحث حول السياق وتطبيقات الاستدلال به في بيان السنة النبوية عند الإمام القرطبي لــ:الاستاذة

مقدمة:

فاطمة قاسم بمجلة المعيار التي تصدر عن كلية أصول الدين بجامعة الامير عبد القادر للعلوم الانسانية العدد 39 جوان 2015م

حيث قسمت دراستها الى مبحثين :

المبحث الاول :التعريف بالإمام القرطبي وبكتابه المفهم ومفهوم السياق

المبحث الثاني:ملامح من الجانب التأصيلي للسياق عند القرطبي ومنهجه فيه

وقد استفدت من جهد الباحثة خصوصا في مايتعلق بالجانب التطبيقي ،وإن كانت دراستها مختصرة ،

وقد أبرزت في هذه المذكرة التي أقوم باعدادها ؛تطبيقات السياق، وأنواعه لدى القرطبي ، وكيفية تعامله معه .

صعوبات البحث:

لا شك أن كل من مارس البحث العلمي من طلبة وأساتذة يعلم علم اليقين ما ينطوي على البحث من مشقة, وما يكتنفه من صعوبات, والقصد من ذكر ذلك الاعتذار عما يجده القارئ من نقص أو خطأ, ومن أبرز هذه الصعوبات التي واجهتها في البحث:

1- صعوبة الحصول على بعض المراجع, وتعذر الوصول إلى بعضها الآخر, رغم الجهد والمحاولات.

2- قلة الدراسات حول الموضوع

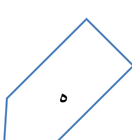
منهج البحث المختار :

هذه الدراسة عبارة عن بيان السياق وأثره في فهم الحديث عند أبي العباس القرطبي من خلال كتاب المفهم ،سلكت فيه المنهج : الاستقرائي التحليلي وذلك بـ:استقراء كتاب المفهم، واستخراج نماذج متنوعة من استعمال السياق، وتحليلها وكيفية تعامل القرطبي معه، واستنتاج منهجية توظيفه في فهم الحديث.

خطة البحث:

وقد سرت في بحث هذا الموضوع على الخطة الآتية:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:



أما المقدمة فقد بيِّنت فيها سبب اختيار الموضوع والخطة المنتهجة في دراسته والعمل الذي سرت عليه في ذلك.

وأما الفصل الأول فقد خصصته للحديث عن العصر الذي عاش فيه القرطبي وعن حياته الشخصية والعلمية، ثم عرجت على التعريف بكتابه المفهم وذلك ببيان منهجه العام فيه وإبراز قيمته العلمية .

فيما تناولت في الفصل الثاني السياق مفهومه وأصوله وأنواعه وضمنته مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: مفهوم السياق وتضمن مطلبين هما:

الاول : تعريف السياق لغة واصطلاحا ، الثاني :الألفاظ التي يعبر بها عن السياق

ثم تناولت في المبحث الثاني: أصول النظرية السياقية وفيه ثلاثة مطالب هي :السّياق عند المتقدمين ،السياق عند المحدِّثين، السّياق عند علماء اللغة المحدَّثين.

ثم ذكرت في المبحث الثالث: أنواع السياق وبنيته ، فبيِّنت في المطلب الاول سياق المقال وبنيته ،و المطلب الثاني سياق المقام وبنيته.

أما الفصل الثالث فعنونته: تطبيقات دلالة السياق عند القرطبي في المفهم , حيث ذكرت في المبحث الأول سياق المقال وأثره في توجية دلالة الأحاديث عند القرطبي ،وفيه أثر سياق المقال في تطبيق القواعد النحوية ثم أثر سياق المقال في توجيه دلالة النكرة ثم أثر سياق المقال في تحديد الدلالة ثم أثر سياق المقال في فقه النص ثم أثر سياق المقال في تخصيص العام ثم أثر السياق في توجيه بعض الظواهر اللغوية ثم أثر سياق جمع الاحاديث في توجيه الدلالة.

ثم بينت في المبحث الثاني سياق المقام وأثره في توجية دلالة الأحاديث عند الامام القرطبي ،وفيه قصد المتكلم وأثره في توجية دلالة الحديث ثم حال المخاطب وأثره في معرفة دلالة الحديث ثم أثر سياق الورود في توجية دلالة الحديث ثم أثر سياق النسخ في توجية دلالة الحديث.

المنهجية المتبعة في إنجاز البحث:

هذا وقد كانت طريقة عملي في هذا البحث كالآتي:

-طالعت كتاب المفهم مرات وقيدت الأمثلة التي اعمل فيها القرطبي السياق

-التزمت عند النقل من أي مرجع أو الاستفادة منه الاكتفاء بالإشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف فقط، فيما أخرت ذكر ما تبقى من بيانات النشر إلى قائمة المصادر والمراجع في آخر الرسالة؛ وذلك بغرض تجنب إثقال كاهل البحث بما لا ضرورة إليه.

-عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور مع بيان رقم الآية.

-عزوت الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها من كتب السنة بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث- إن وجد - وأكتفي بتخريجه من صحيح مسلم لأن جل الأحاديث منه .

-ولم أترجم للمشهورين؛ ككبار الصحابة وأصحاب الكتب الستة و أصحاب المذاهب وغيرهم من الأعلام الذين يتردد ذكرهم كثيرا؛ لأن الترجمة لكل الأعلام الواردين في البحث يضر بالبحث أكثر مما يفيده، من جهة الإخلال بغرض الاختصار المطلوب في مثل هذه البحوث، ولأن الترجمة لكل علم لا فائدة منها مالم تكن لها فائدة مباشرة في البحث

-وضعت فهارس علمية عامة للمذكرة يسهل معها الرجوع إلى المراد وقد اشتملت على ما يأتي:

أ – فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب سور القران .

ب – فهرس الأحاديث الشريفة مرتبة على الحروف الهجائية.

جـ _فهرس الأعلام

د- فهرس المصادر والمراجع ورتبتها على الحروف الهجائية..

و – فهرس الموضوعات.

وبعد فهذا جهد المقل، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني به ووالديّ وأهلي يوم القيامة، وأن يوفقني لخدمة سنة نبيه ، وصلى الله

وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:
التعريف بالإمام القرطبي وكتابه المفهم

و قد اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي العباس القرطبي

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم".

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي العباس القرطبي

و قد اشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: عصر الإمام القرطبي

المطلب الثاني: حياة الإمام القرطبي الشخصية

المطلب الثالث: حياة الإمام القرطبي العلمية

المطلب الرابع: مؤلفات الإمام القرطبي

المطلب الأول: عصر الإمام القرطبي

للبيئة دور رئيسي في تكوين شخصية الفرد، وتنمية قدراته وتغذية فكره ونشاطه العلمي، لذا لا بد لمن أراد أن يلم بجوانب شخصية عالم ما أن يدرس الحالة السياسية والعلمية التي نبع فيها وترعرع، والإمام أبو العباس القرطبي كغيره من العلماء؛ الذين قد تنقلوا بين الأقاليم الإسلامية لطلب العلم، أو الاستقرار بموطن ما لكثرة الحروب، وتغير الدويلات بين الفينة والأخرى، وهو ما نلحظه في حياة هذا الإمام الذي نشأ في بلاد الأندلس وترعرع بها، ثم استقر بمصر و توفي بها.

الحالة السياسية في بلاد الأندلس:

عاش الإمام القرطبي في مدينة قرطبة من بلاد الأندلس؛ التي هي مركز الحياة العلمية والثقافية، فكانت موطن الصبا، وتكوين الشخصية، في ظل دولة الموحدين

[1]التي أسسها عبد الله بن تومرت سنة **518**هـ بعد أن أعلن أنّه المهدي المنتظر،[2] وعمل على بسط نفوذها على بلاد المغرب والأندلس، ثم خلفه أبو حفص عبد المؤمن بن علي ت(**558هـ**) الذي استولى على مراكش عاصمة المرابطين[3] في **18** شوال **540 هـ**.[4]

هذه الاضطرابات التي كان يعيشها المغرب الإسلامي، وانشغال المرابطين لتوطيد أركان دولتهم، وقتال الموحدين، شجع النصارى الإسبان على قتال المرابطين في الأندلس يقول صاحب الحلل الموشية: " وتأججت نار الفتنة بالمغرب، وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحرب، وغلت الأسعار، وتوالت الفتن،

---

[1]- دولة الموحدين انتشرت أول المائة السادسة بالمغرب على يد محمد بن تومرت ،انظر الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين لعلي الصلابي ص:24

[2] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن غدارى الأندلسي ج4، ص 68، ، و انظر أيضا الأنيس، المطرب بروص القرطاس لعلي بن زرع الفاس، ص179،

[3]-دولة المرابطين (541-451هـ) : قامت في جنوب بلاد المغرب الأقصى بزعامة الفقيه عبدالله بن ياسين، وتوسعت حتى ضمّت المغرب كله، والأندلس في عصر القائد الأمير يوسف بن تاشفين. انظر علي الصلابي دولة الموحدين ص/17

[4] المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ت 647 هـ ج3، ص270 والاستقصاء لأخبار دور المغرب الأقص الناصري،ى ج2، ص108،

وعم الجدب، وقلت المحابية، وكثرت على أهل الإسلام المحن بالعدوتين، ووجه كثير من حماة الأندلس إلى العدوة، ونقل إليها كثير من أسلحتها واختل أمرها عليهم، و ألح النّصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس حين علموا عجز الإمارة بالمغرب عن الدفاع لما هم فيه من الفتن حتى تغلبوا على كثير من بلادها. " [1]

في ظل هذا الاضطراب السياسي وزحف النصارى في الأندلس على الإمارات الإسلامية، واستتباب الأمن في الدولة الموحدية في بلاد المغرب كان لابد لعبد المؤمن بن علي ت (**558هـ**) من توطيد أركان دولته في الأندلس، فسار إليها بنفسه سنة **541** هـ وبسط نفوذه على دويلاتها الواحدة تلو الأخرى إلى أن دخل قرطبة سنة **543** هـ.

ثم تولى ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (**558هـ -580هـ**) وهي الفترة التي ولد فيها الإمام أبو العباس القرطبي سنة **578** هـ. وكان أبو يعقوب قد عرف بجهاد النصارى في بلاد الأندلس بنفسه، سعيا منه لتوحيد بلاد الأندلس إلى أن استشهد سنة **580** هـ وكانت مدة حكمه اثنين وعشرين عاما .[2]

ثم بويع لابنه أبو يوسف يعقوب المنصور سنة (**580هـ-595هـ**) وكان على قدر من العلم فجالس العلماء والمحدثين، وكان ذا علم وكرم ودين وسياسة، وكانت أيامه أيام أمن ورخاء ورفاهية، مال إلى الظاهر وأعرض عن كتب المالكية وأحرق ما لا يحصى من كتب الفقه، قال عبد الواحد المراكشي: "وفي أيامه انقطع علم الفروع، وخاصة الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب كمذهب سحنون وكتاب ابن يونس. "لقد شهدت وأنا يومئذ بفاس يؤتي منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار. "[3]

ولحكمة منه لم تصمد الثورات التي ظهرت في مدة خلافته، فتوجه مجددا بنفسه إلى جهاد النصارى في حصون الأندلس، في جمع لم يعرف قبله مثله، وكانت المعركة المشتهرة بالأرك في شعبان سنة **595** هـ، فانتهت بهزيمة النصارى [1] وارتفع نجم الموحدين في كل مكان وتعتبر فترة حكم الخليفة أبو

[1]-الحلل الموشية 119-120 لمؤلف أندلسي ت سهيل زكرياء
[2]- الحلل الموشية 158
[3] - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، للمراكشي ج3، ص355.
[1]-وقفت المعركة غرب قلعة الارك فنسبت إليها.

يوسف يعقوب بن عبد المومن ت(595ه) العصر الذهبي للدولة الموحدية ،حيث استطاع أن يوحد البيت الموحدي، ويقضي على الثورات، وكان يباشر المعارك بنفسه، ويستشير قادته وخاصته، إلى أن توفي سنة 595هـ [2]

بعد الخليفة يوسف يعقوب تولى السلطان أبو محمد عبد الله الملقب بالناصر (595-610هـ) وكان شابا طموحا معتزًا بنفسه ورأيه، واشتدت الثورات في عهده ضد الموحدين في المغرب كثورة عبد الرحمان الجازولي بسوس سنة 597ه، وثورة بنو غانية سنة 601 هـ،[3] وفي الأندلس زاد حقد الصليبيين النصارى بعد معركة الأرك، فوحدوا صفوفهم الداخلية للتأثر مجددا وقتال الموحدين، فخرج إليهم السلطان أبو محمد الناصر لقتالهم فوقعت المعركة المشهورة في تاريخ المسلمين "العقاب" [4] سنة 609 هـ والتي كانت سببا في فقدان بلاد الأندلس ولو إلى بعد حين، وكانت أسباب الهزيمة فيما يلي:

1- قلة خبرة السلطان أبي محمد.
2- استبداده برأيه وعدم استشارة قادة جيشه والاستهزاء بهم.
3- الفساد الذي عم بلاد المسلمين والأندلس خصوصا إذ يقول القرطبي رحمه الله: "وأي فساد أعظم من الهجوم على حرم المسلمين وأولادهم وإشهار السلاح لأجله، وقد كثر في بلاد الأندلس في هذه المدد القريبة، وقد ظهر فيهم ظهورا فاحشا، بحيث اشترك فيه الشبان بالفعل وأشياخهم بالإقرار وترك الإنكار فسلط الله عليهم عدوهم فأهلكم واستولى على بلادهم".[1]

وقال أيضًا " والقتل يكثر ويسهل حتى لا يبالى به، فيكون قتل المسلم عند قاتله كقتل نملة كما هو الحال الآن في أقصى المغرب."[2]

[2] -انظر: دولة الموحدين للدكتور علي الطلابي ، ص166،
[3] - انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ج3، ص350.
[4] -نسبة الى حصن أموي قديم يسمى العقاب بضم العين ولذلك تسمى في التاريخ العربي باسم معركة العقاب أو معركة حصن العقاب.ويسميها النصاري بمعركة لاس نافاس دي " **تولوسا** "،لأن المعركة وقعت في واد يسميه الإسبان نافاس قرب بلدة تولوسا وهذا سبب تسميتها .
[1] - المفهم، ج5، ص17.
[2] - المفهم، 215/7

وبعد هذه الهزيمة لم يزل الخليفة الناصر مقيما بمراكش إلى أن توفي سنة **610** هـ. ثم تولى بعده أبو يعقوب يوسف بن محمد **(610هـ -620هـ)** ولم تتميز خلافته بشيء يذكر سوى الثورات التي كانت على الموحدين في عهده.

وفي ولاية أبي يعقوب وبالضبط سنة **618ه** للهجرة خرج القرطبي من الأندلس إلى الحج، ولم يعد إلى بلاد الأندلس، ومع ذلك كان يتابع أخبار بلاده حيث نجده يقول في الـمفهم "والقتل يكثر ويسهل لا يبالي به، فيكون قتل المسلم عند قاتله كقتل نملة كما هو الحال الآن في أقصى المغرب"[3].

الحالة السياسية في مصر:

عاد القرطبي أبو العباس إلى مصر بعد رحلته إلى الحج فاستوطن الإسكندرية حتى توفي بها سنة **656هـ** وكانت بلاد مصر في ذلك الزمن خاضعة لسلطة الدولة الأيوبية التي خلفت دولة الفاطميين بقيادة صلاح الدين الأيوبي **(567-589هـ)**[4] فخلفه في الحكم ابناه العزيز ثم الأفضل ثم عمهما العادل بن أيوب ت **615ه**، ثم تولى ابنه الكامل ت: **635** هـ وفي خلافة الكامل دخل القرطبي أبو العباس إلى مصر التي كانت تتعرض آنذاك لغزو الإفرنج، حيث يقول أبو العباس "ولما وصلت إلى تونس قاصدا الحج سمـــعت أخبارًا سيئة عن البـــلاد المصـــرية من جهة العــدو الــذي تغلب على دمياط "[1] ، وسافرت إلى أن وصلت الاسكندرية عن مدة مقدارها ثلاثون يوما في كنف السلامة، فوجدتها والديار المصرية على أشد خوف وأعظم كربة، والعدو قد استفحل أمره، وعظمت شوكته."[2]

وبعدها عمت حالة من الفوضى والنهب في البلاد المصرية يقول عنها ابن الأثير "فلما عبر الإفرنج إلى أرض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبائلها، ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا وبالغوا في الإفساد، فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج."[3]

---

[3]- المصدر السابق45/3

[4]- انظر السلوك لمعرفة دول الملوك لـ تقي الدين المقريزي ت 845 هـ ج1، ص150 ،

[1]- دمياط مدينة قديمة بين يس ومصر بين بحر الروم الملح والنيل أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي 472/2.

[2]- المفهم، ج6، ص19.

[3] -الكامل في التاريخ لابن الأثير ج2، ص377.

واشتد القتال بين الأيوبيين والفرنج برا وبحرا فاحتلوا دمياط سنة **616 هـ** يقول ابن الأثير:"وأحاط الفرنج بدمياط، وقاتلوها برّا وبحرا، وعملوا عليهم خندقا يمنعهم ممن يريدهم من المسلمين، وهذه كانت عادتهم، وأداموا القتال، واشتدّ الأمر على أهلها، وتعذّرت عليهم الأقوات وغيرها، وسئموا القتال وملازمته، لأن الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم، وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة، ومع هذا فقد صبروا صبرا لم يُسمع بمثله، وكثر القتل فيهم والجراح والموت والأمراض، ودام الحصار عليهم إلى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة، فعجز من بقي من أهلها عن الحفظ لقلتهم، وتعذَّرَ القوت عندهم، فسلّموا البلد إلى الفرنج في هذا التاريخ بالأمان، فخرج منهم قوم وأقام آخرون؛ لعجزهم عن الحركة، فتفرقوا أيدي سبأ." [4]

وظل التناوش قائما بين الإفرنج والمسلمين إلى أن حلت سنة **618 هـ** التي راسلوا فيها الملك الكامل يطلبون الأمان وتمموا الصلح على تسليم دمياط، واستقرت القاعدة والأمان سابع عشر رجب من سنة **618** ه.[5]

وكان الكامل رجلا فاضلا ورعا متعففا عن الدماء، قال المقريزي "وكان يحب أهل العلم، ويؤثر مجالسهم، وكان يناظر العلماء، وكان مهيبا دارسا، سديد الآراء حسن التدبير لمالكيه عفيفا عن الدماء"[1].

ثم تولى الصالح أيوب إلى أن توفي سنة **647 هـ**، فتولى ابنه توران شاه لكنه لم يبق إلا قليلا وقتله المماليك، واستولوا على الحكم، بحيث سقطت الدولة الأيوبية التي عاش القرطبي في كنفها في مصر وصدر من دولة المماليك.[2]

ومن الأحداث الأليمة التي وقعت في التاريخ الإسلامي وتركت أثرا في المسلمين وفي الإمام القرطبي غزو التتار وسقوط الدولة العباسية سنة **656 هـ**، حيث نجده يقول رحمه الله في المفهم" وخرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم فنسأل الله أن يهلكهم ويبدد جمعهم."[3]

[4]- المصدر السابق ج10، ص307.
[5]-المصدر السابق ج10، ص415، البداية والنهاية،لابن كثير ج17، ص32.
[1] -السلوك للمقريزي ج1، ص380، 381.
[2]- انظر البداية والنهاية، لابن كثير ج17، ص305.
[3]- المفهم، ج7، ص204.

الحالة العلمية:

شهدت البلاد الإسلامية في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي تقلبات سياسية، وهجمات النصارى والمغول من المغرب والمشرق فأدّى ذلك إلى هجرة العلماء لأوطانهم، ومقتل الكثير منهم [4] ؛ إلا أن ذلك لم يؤثر في الحياة العلمية العامة، خصوصا مدينة قرطبة التي نشأ فيها القرطبي أو مدينة الإسكندرية التي استوطن بها.

الحالة العلمية في الأندلس:

على الرغم من تدهور الحالة السياسية في عصر القرطبي، والهجمات التي كانت تتعرض لها البلاد الإسلامية من المشرق والمغرب، وكثرة الصراعات الداخلية؛ إلا أن الحياة العلمية كانت تشهد نتاجا غزيرا وحركة علمية لا بأس بها، ترجم ذلك في بروز علماء في مدن شتى في المشرق والمغرب، وتخلل ذلك شيئا من الجمود والتقليد الأعمى؛ الذي تكلم عنه القرطبي مرات عديدة في المفهم فقال رحمه الله: "وقد بين كيفية رفع العلم وظهور الجهل في حديث عبد الله بن عمرو[1] .. وقد ظهر ذلك ووجد على نحو ما أخبر صلى الله عليه وسلم فكان ذلك دليلا من أدلة نبوته وخصوصا في هذه الأزمان، إذ قد ولي المدارس والفتيا كثير من الجهال والصبيان وحرمانها أهل هذا الشأن."[2]

وهذه الفترة شهدت تعرض العلماء للقتل والتهجير من بلادهم كحال الإمام القرطبي مع سقوط الأندلس، أو حال غيره في بلاد المشرق مع استيلاء التيار على بلاد المسلمين، وحرق المكتبات والمساجد حتى ألقيت مكتبة بغداد في نهر الفرات حتى تغير لونه."[3]

ونبغ في هذه الفترة علماء كبار كابن رشد (595-520هـ) وأبو بكر بن العربي (542 هـ)، والملاحظ أيضا أن العصر الموحدي امتاز بحركة علمية في علوم الدين، والأدب والفلسفة والرياضيات وغيرها، وزخر بكوكبة من العلماء على اختلاف مشاربهم خصوصا أن الموحدين قد مجدوا العلم والعلماء، وكان محمد بن تومرت المؤسس متكلما مؤلفا، وسار على نهجه من خلفه كعبد المؤمن

[4]- انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج48، ص36.
[1]- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل
[2]- المفهم 705/6.
[3]-تاريخ الإسلام للذهبي 160/4.

الذي جمع أثار بن تومرت في التوحيد والفقه في كتاب سماه " أعزّ ما يطلب "[4] ، ومما ساعد على نمو الحركة العلمية، كثرة الكتب والمؤلفات، وقد كان البعض من ملوك الأندلس كما جاء في "نفح الطيب": (يستجلبون المصنفات من الأقاليم والنواحي، باذلين فيها ما أمكن من الأموال، حتى ضاقت عنها خزائنهم، وكانوا ذوي غرام بها)[5].

وكان ليوسف بن عبد المؤمن مكتبة كبيرة جمع فيها أمهات الكتب، قال المراكشي "(ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل النظر إلى أن اجتمع له منهم مالم يجتمع بملك قبله ممن ملك المغرب)."[6]

ومختصر القول أن العصر الموحدي نشطت فيه الحركة العلمية والفكرية نشاطا منقطع النظير في مختلف الميادين الفقهية والعلمية والأدبية، وكانت قرطبة موطن أبي العباس مركز هذه الحركة قال المقري "هي أكثر بلاد الأندلس كتبا، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب."[1]

الحالة العلمية بمصر:

كانت الحركة العلمية مزدهرة في مصر ولا سيما في عهد الأيوبيين والمماليك وأبواب العلم مفتحة، وأن من أهم أسباب هذه النهضة العلمية هي:

أ- اجتماع علماء المشرق والمغرب في مصر، وذلك بسبب زحف التتار في الشرف والنصارى في الغرب

ب- انتشار المدارس والمساجد وبناؤها، فقد كان للمدارس أوقاف تنفق على طلابها الدارسين فيها

4 -تم تحقيقه من طرف الدكتور عمار طالبي طبعته وزارة الثقافة الجزائرية سنة 2007 وحققه الدكتور عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، سنة 1997، ص 10.

5 -نفح الطيب للمقري (180/1 - 184).

6 -المعجب، ص311.

1 -نفح الطيب للمقري ، 462/1.

د- التشجيع الذي وجده العلماء من السلاطين ، عن طريق علاقاتهم الوطيدة بهم ، فأقبل الناس بهمة على طلب العلم، لطموحهم في الوصول إلى ما وصل إليه العلماء من الرتب والمزايا[2].

وبالجملة تميزت الحركة العلمية في هذه الفترة بكثرة العلماء المحققين وغزارة نتاجهم العلمي الذي وصل إلينا.

المطلب الثاني: حياة القرطبي الشخصية *

اسمه و نسبه وكنيته:

اسمه: أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي[1] الأندلسي المالكي[2] نزيل الاسكندرية.

---

[2]- انظر الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي الأول لعبد اللطيف حمزة ، ص 141.

***مصادر ترجمته**

1-التكملة لابن الأبار ت658هـ
2-معجم شيوخ الدمياطي ت704هـ
3-الذيل والتكملة للمراكشي ت705هـ
4-ذيل مرآة الزمان لقطب الدين اليونيني ت726هـ
5-كتب الحافظ شمس الدين الذهبي ت747هـ وهي : تاريخ الإسلام، والعبر، وتذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء،
6-الإعلام بوفياتا لأعلام، الزركلي.
7-الطالع السعيد لكمال الدين الأدفوي ت748هـ
8- الوافي بالوفيات للصفدي ت764هـ
9-البداية والنهاية لابن كثير ت774هـ
10-الديباج المذهب لابن فرحون ت799هـ
11-المقفى الكبير للمقريزي ت745هـ
12-حسن المحاضرة للسيوطي ت911هـ
13-نفح الطيب للمقري ت1104هـ
14-كشف الظنون لحاجي خليفة ت1069هـ

نسبته: الأنصاري القرطبي الأندلسي[3] المالكي.

كنيته: يكنى أبو العباس[1] ويلقب بابن المزين[2] ، واشتهر بها في بلاده وهي مهنة أبيه كان مزينا؛ أي حلاقا، ولقب في الإسكندرية بالشاهد العدل[3] وقيل ضياء الدين، والصحيح أنه لقب لـــ: أحمد بن محمد بن عمر بن يونس الأنصاري القرطبي، وأول من ذكر هذا ابن عبد الملك المراكشي، وابن الزبير الغرناطي وعنهما نقل ابن فرحون ومحمد بن مخلوف في شجرة النور الزكيـــــة.[4]

ولادته ونشأته:

ولد الإمام القرطبي سنة **578** هـ، ونشأ رحمه الله في قرطبة من بلاد الأندلس في عصر الدولة الموحدية وظل يعيش بها، وهي موطن العلم والعلماء، وكانت أكثر بلاد المسلمين كتبا، يقول المقري في وصفها: "وإليها كانت الرحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، ومعدن العلماء، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، وفيها يقول بعض علماء الأندلس:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة // منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة// والعلم أعظم شيء، وهو رابعها

وكانت منتهى الغاية ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أولى الفضل والتقى، ووطن أولى العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم و النثر، وبها أنشئت التآليف الرائعة وصنفت التصانيف الفائقة."[5]

15-شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ت1089هـ

16-شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف ت 1360هـ

[1]-نسبة إلى قرطبة بضم أوله و سكون ثانيه وضع الطاء المهملة و باء موحدة مدينة عظيمة بالأندلس ، و كانت سريرا لملكها و قصبتها و بها كانت ملوك أمية وبينهما وبين البحر خمسة أيام البلدان 324/4.

[2]- الوافي بالوفيات ج/7 ص173 ، نفح الطيب ص615، ج2.

[3]- نسبة إلى شبه جزيرة تقع ما وراء البحار تشمل اليوم اسبانيا والبرتغال. انظر موسوعة تاريخ الأندلس د/حسن موسى ج1 ، ص10، ط1، 1996 ،

[1]- انظر الوافي بالوفيات ج7، ص173، شذرات الذهب ج7، ص473، الإعلام الزركلي ج1، ص186.

[2] -المزين : مهنة تطلق على الحلاق والمجتمع أنظر الرازي: مختار الصحاح.

[3]- انظر معيد النعم ومبيد النقم للقاضي تاج الدين السبكي 771 هـ ص54

[4]- انظر رحلات أحمد بن عمر القرطبي في المغرب والمشرق لسليم القدوري مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية مج11، ع2 ذو الحجة 1426 أغسطس 2005، ص180

[5]-نفح الطيب ج153/1

ولقد اعتنى به والده، حيث صرفه إلى العلم ومجالسة العلماء، وكان والده عالما من أهل العلم، حيث ورد في مقدمة كتاب تلخيص صحيح مسلم "قال الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث أبو العباس ابن الشيخ الفقيه أبي حفص عمر الأنصاري القرطبي".[6]

في هذا الوسط الأسري والاجتماعي في مدينة قرطبة ترعرع الإمام القرطبي، فنهل من علمائها، واشتغل أولا بالمعقول وكانت له قدرة على توجيه المعاني بالاحتمال،[1] ثم برع في علم الحديث وتخصص به.[2]

أسرته:

لم تشر المصادر التي تعرضت إلى حياة الإمام القرطبي إلى أسرته، سوى ما ذكر عن أبيه أنه كان فقيها[3] ، أو ما ذكره أبو عبد الله القرطبي المفسر أن له أخا سمي أبو القاسم في كتابه التذكرة : "ولقد أخبرني صاحبنا أبو القاسم رحمه الله أخو شيخنا أبي العباس أحمد بن عمر رحمه الله – أنه ربط نحوا من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في حبل واحد مخافة سبي العدو حتى خرجوا من قرطبة أعادها الله."[4]

وفي هذا النص دلالة على أنه كان أصغر من أبي العباس القرطبي، حيث يجلي أبو عبد الله القرطبي أبو القاسم بصاحبنا فكأنه قرين له. والله أعلم[5]

ولم أقف أيضا على ذكر زوجاته وأولاده إلا ما ذكره هو في المفهم حيث قال: "ومنها أني تزوجت امرأة وقبل الدخول بها حدثت عن صفتها ما أوقع في قلبي نفرة فأريتها في النوم على الصفة التي كانت عليها في بيتها، ثم إني لما اجتمعت بها وجدتها هي التي رأيتها في النوم."[6]

---

[6]- المفهم ج1 /17

[1] -انظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدمشقي 139/7/ الوافي بالوفيات للصفدي 173/7.

[2]-انظر الديباج المذهب لابن فرحون ج ، ص240-241-242.

[3]-المفهم 124/1

[4]-التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص724

[5] -انظر رحلات أحمد بن عمر القرطبي في المغرب والمشرق لسليم القدوري مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية مج11، ع2 ذو الحجة 1426 أغسطس 2005، ص183

[6]-المفهم 25/6

وربما القرطبي أبو العباس رحمه الله آثر العزوبية بعد زواجه الأول إذ يقول رحمه الله: "وحديث أنس وسهيل يدلان على أن التزويج أفضل من التفرغ للعبادة وهو أحد القولين المتقدمين، ويمكن أن

يقال إن ذلك كان في أول الإسلام لما كان عليه النساء من المعونة على الدين والدنيا وقلة التكلفة والتعاون على البر والتقوى، والحنو والشفقة على الأرواح، وأما في هذه الأزمان فنعوذ بالله من الشيطان والنساء، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد حلت الغربة والعزلة بل وتعين الفرار من فتنتهن والرحلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله."[1]

أخلاقه و صفاته:

كان الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله طيب الخلق، ورعا تقيا، عفيف اللسان، رقيق العبارة، حسن المناظرة، منصفا لا يتعصب لرأي من الآراء، إلا أنه يصدع بالحق، ويرد على أهل البدع بأغلظ العبارات وأشنعها ومن ذلك:

1- الرد عن بعض الصوفية بقولة:"فأما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الإدمان على سماع المغاني بالآلات المطربة؛ فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه ... وقد انتهى التواقح بأقوام منهم إلى أن يقولوا: إن تلك الأمور من القرب وصالحات الأعمال، وأن ذلك يُثمر صفاء القلوب وسيئات الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل البطالة والْمَخْرَقَة، نعوذ بالله من البدع والفتن، ونسأله التوبة والمشي على السنن."[2]

2- وقال أيضا في الرد على المبتدعة: "وقد اغتر كثير من الجهال بالأعمال فلاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات، وإجابة الدعوات، وزعموا أنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويغتنم صالح دعائهم، وأنهم يجب احترامهم وتعظيمهم، فيتمسح بأثوابهم، وتقبل أيديهم، ويرون أن لهم من المكانة عند الله بحيث ينتقم لهم ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وهذه كلها نتائج الجهل العميم، والعقل غير المستقيم، فإنَّ ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنبه، مغتر بإمهال الله - عز وجل - له عن أخذه، ولقد

[1]- المفهم 70/4.
[2]- المصدر السابق 426/2

غلب أمثال هؤلاء الأنذال في هذه الأزمان فاستتبعوا العواتم، وعظمت بسببهم على أهل الدين المصائب والسوائم، فإنا لله وإنا إليه راجعون."[1]

عقيدته ومذهبه الفقهي:

إن المتتبع لنصوص الإمام أبي العباس القرطبي في كتابه المفهم وغيرها من كتبه، لا يشك في أن الإمام كان من أهل الكلام الأشاعرة يقول بتأويل الصفات، ويقرر مذهبهم ويدافع عن آرائه الكلامية بالحجج العقلية واللغوية والنقلية، فمن ذلك:

- قوله: "والإيمان بالله هو التصديق بوجود الله تعالى، وأنه لا يجوز عليه العدم وأنه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال من العلم، والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة، وأنه تعالى منزه عن صفات النقص التي هي أضداد تلك الصفات وعن صفات الأجسام والمتحيزات."[2]

فهو يثبت الصفات السبعة التي ذكرها ويؤول الصفات الباقية حيث يقول عن صفة الضحك: "إن المراد بالضحك من الله إظهار الرحمة والفضل والنعمة.[3]

- وقال عن اليد إن المراد بها القدرة، والنعمة أو الملك قال رحمه الله: وقوله: "أنت آدم الذي خلقك الله بيده " هو استفهام تقرير، وإضافة الله خلق آدم إلى يده إضافة تشريف، ويصح أن يراد باليد هنا: القدرة والنعمة، إذ كلاهما موجود في اللسان مستعمل فيه. "[4]

مذهبه الفقهي: يعد القرطبي أحد أعيان المذهب المالكي الجامعين لعلوم كثيرة تشمل الفقه والأصول والحديث والعربية والتفسير والقراءات.

---

[1]-المفهم 308/7 وانظر ايضا :137/7، 45/7

[2]-المصدر السابق 74/1.

[3]-المصدر السابق (424/1).

[4]-المفهم 294/7،وانظر ايضا 427/1.

قال فيه الصفدي: "الإمام أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي "[1]

وقال المقري: "المالكي الفقيه المحدث"[2]

وقال ابن العماد: المالكي المحدث كان من كبار الأئمة "[3]

وقال المقريزي: "فقيه مالكي محدث أصولي"[4]

وقال صاحب شجرة النور الركبة: "الإمام العمدة العلامة الفقيه المحدث"[5]

ولم يكن متعصبا للمذهب وإنما يعلن رأيه بوضوح فيما يخالف فيه مذهب أو رجح غيره من المذاهب.

وفاته:

بعد حياة علمية قاربت الثمانين سنة فاضت روح أبي العباس القرطبي إلى باريها، ولحق بجوار ربه في مدينة الاسكندرية بمصر سنة **656** ه[6] في شهر ذي القعدة.[7]

وقد اختلف في اليوم الذي توفي فيه، فقيل الرابع[8] من ذي القعدة، وقيل الرابع عشر[9] وقيل الرابع والعشرين.[10]

وقد خالف ابن فرحون في سنة وفاته فقال سنة **626**

---

[1]- الوافي بالوفيات 173/7.
[2]- نفح الطيب 615/2
[3]- شذرات الذهب 473/7.
[4]-المففى الكبير للمقريزي 545/1.
[5]-شحرة النور الزكية ، ص194.
[6]- أجمعت المصادر تقريبا على سنة وفاته.
[7]- أنظر نفح الطيب 615/2
[8]-المصدر نفسه. 615/2
[9]-ذيل مراة الزمان لليونيني 95/1.
10-المقفى الكبير لتقي الدين المقريزي 545/1.

[1]ولعله تصحيف، وإلا فابن فرحون لا يخفى عليه مثل هذا. والله أعلم.

المطلب الثالث: حياة أبي العباس القرطبي العلمية

نشأ الإمام القرطبي في بيئة علمية تزخر بالعلم والعلماء والمكتبات العامة في قرطبة، حتى قال المقري عليها هي أكثر بلاد الأندلس كتبا، وأشدّ الناس اعتناء

[1]- الديباج المذهب ج1، /242.

بخزائن الكتب،[1] ،وفي أسرة علمية حيث ورد في مقدمة تلخيصه لكتاب مسلم، قال الشيخ الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه أبي حفص عمر الأنصاري القرطبي رحمهما الله[2] "ونجده رحمه الله يتكلم عن سماعه للحديث عن شيوخ بلده قرطبة. فيقول: "وقد أعان الكريم الوهاب على الاعتناء بهذا الكتاب، فتلقيته روايةً وتقييدًا عن جماعَة من أعلام العلماء؛ وتفانيت في التفقُّه فيه بعض سادات الفقهاء؛ فممن رويته عنه: الشيخ الفَقيه القاضي الْمحدّث الثّقة الثّبت، أبو الحسن علي ابن الشيخ الزاهد الفاضل، المحدِّث المفيد أَبو عَبد الله محمد بن علي بن حفص اليحصبي، قراءة عليه بقرطبة، وهو يمسك أصله نحو المرتين، في مدة آخِرها شَعبان سنة سبع وَسِتمائَة، والشيخ الفقيْه القَاضي الأعدَل، العالم الأعْلم، أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود بن حوط الله، قراءة عليه، وسَماعا لكثِير منه، وإجازة لسائره، وذلك بقرطبة في مدّة آخرها ما تقدم."[3]

وكانت أول رحلاته العلمية مغربية في طلب العلم وعمره اثنان وعشرون **22** عاما زار خلالها تلمسان وفاس وسبتة، ثم رجع إلى قرطبة قبل سنة **(607هـ)** يقينا[4].

والتقى بجماعة من العلماء منهم:

1- محمد بن يوسف بن مفرح بن سعادة **(ت600هـ)** نزيل تلمسان[5]

2- يحي بن سعيد بن مسعود يعرف بالقليني.[1]

3- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي.[2]

4- أبو محمد عبد الله بن سلمان بن حوط الله.[3]

[1]-نفح الطيب ، 462/1

[2]-المفهم :17/1

[3]-المصدر السابق :40/1

[4]-أنظر رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي في المغرب والمشرق لسليم القدوري ، مجلة مكتبه فهد الوطنية مج1، ع2 ذو الحجة 1426 أغسطس 2005، ص180

[5]-التكملة لابن الابار 86/2 قال ابن الابار (وحكى ابو العباس ابن المزين انه لقيه بتلمسان واجاز له في ربيع الاخر سنة ستمائة)

[1]-التكملة لكتاب الصلة 186/4 **وقال** أبوالعباس ابن المزين : لقيته بتلمسان، وقرأت عليه آيات من القرآن بالقراءات السبع، وأجاز لي في جمادى الأولى عام 600ه))

[2]-الديباج لابن فرحون ج1، ص241.

5- عبد الحق بن محمد بن عبد الحق الخزرجي.[4]

6- أبو الفاتح عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم الأزدي (605ه-[5])

ثم رحل رحمه الله إلى الحج حيث يقول رحمه الله "ولما وصلت إلى تونس قاصدا الحج سمعت أخبارا سيئة عن البلاد المصرية من جهة العدو الذي غلب على دمياط .. وسافرت إلى أن وصلت إلى الاسكندرية عن مدة مقدارها ثلاثون يوما في كنف السلامة فوجدتها والديار المصرية على أشد خوف وأعظم كرب، والعدو قد استفحل أمره وعظمت شوكته فلم أكمل في الاسكندرية عشرة أيام حتى كسر الله العدو."[6]

ويرجح الدكتور يوسف القدوري أن يكون ذلك سنة **618**ه، وذلك بالرجوع إلى كتاب الكامل في التاريخ نجد ما نصه: "فلما تيقنوا أنه قد أحيط بهم من سائر جهاتهم، وأن المنايا قد كشرت على أنيابها فراسلوا الملك الكامل والأشرف يطلبون الأمان ليسلموا دمياط بغير عوض، واستقرت القاعدة والإيمان سابع رجب من سنة ثمان عشر وستمائة."[7]

ثم أتم مسيره إلى الحج حيث يقول رحمه الله: "ثم إن الله تعالى كمل عليّ إحسانه وإنعامه وبلغني بعد حج بيته إلى زيارة قبر نبيه ومسجده."[8]

وأجمعت المصادر على أنه استقر بالإسكندرية بعد رجوعه من الحج وتوفي بها.

أما رحلته مع أبيه في الصغر التي ذكرها ابن فرحون في الديباج نقلا عن ابن عبد الملك المراكشي وابن الزبير الغرناطي، في حين لا تذكر ذلك المصادر المشرقية التي ترجمت للإمام القرطبي، ومرد ذلك كما ذهب الدكتور سليم القدوري إلى عالم آخر التبس أمره على بعض المؤرخين، وهو أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت**672**هـ) بمصر فلقب بضياء الدين."[1]

شيوخه و تلاميذه:

---

[3]-المصدر السابق ج1، ص241.

[4]-المصدر نفسه ج1، ص241.

[5]- المصدر نفسه ج1، ص241.

[6]- المفهم 6-24، 25.

7-الكامل لابن الأثير، ص370.

[8]- المفهم 6-24، 25.

[1]-رحلات أحمد بن عمر في المغرب والمشرق، ص189.

أولا: شيوخه:

1- أبو حفص عمر بن ابراهيم الأنصاري القرطبي والده.[2]

2- أبو محمد الفاتح بن فيرة بن أبي القاع الشاطبي المقري الضرير له حرز الأماني ووجه التهاني، توفي بمصر سنة **(590 هـ)**[3] ، قال المقري: "وممن قرأ عليه بالروايات الإمام الشهير محمد بن عمر القرطبي".

4- أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني قاض جيان توفي بفاس سنة **(604 هـ)**[4]

4- أبو القاسم عبد الرحمان بن يوسف الأزدي ابن الملجوم الزهراني لقيه بفاس ت**(605هـ)**.[5]

5- محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة ت**(600 هـ)**.[6]

6- يحي بن سعيد بن مسعود، أبو زكرياء ويعرف بالقليني.[7]

7- عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز المعروف بابن الدّباغ قال ابن الابار حدث عنه أبو العباس ابن المزين ، لقيه بتلمسان سنة **600** هـ.[7]

8-أبو عبد الله بن عبد الرحمان التجيبي من أهل بلنسيه استوطن تلمسان وبها سمع القرطبي منه[8] توفي سنة **(616** ه**)**.[9]

9- محمد بن عثمان بن سعيد الفاسي المعروف بابن يقِّيميس ت**(608هـ)**.[10]

---

2 -لم يترجم له في مصدر ، و إنما من خلال مقدمة المفهم.

3-شجرة النور 159 طبقات القراء للذهبي 883/2، نفح الطيب ، ج2، ص22.

4-شذرات الذهب ، معجم المؤلفين قال القرطبي "وقد رويته كذلك من طريق شيخنا أبي ذر بن مسعود الحسني ، المفهم 480/4، شجرة النور الزكية ، ص171.وانظر أيضا بغية الوعاة للسيوطي،ج:1 ص:457

5-الديباج ص 68،معجم المؤلفين128/2

6-التكملة لكتاب الصلة ، ج2، ص86،

7-التكملة لكتاب الصلة 4/ 186 **وقال**أبوالعباس ابن المزين" : لقيته بتلمسان،وقرأت عليه آيات من القرآن بالقراءات السبع،وأجاز لي في جمادى الأولى عام 600ه".

7-التكملة لكتاب الصلة 97/3،96

8 -الديباج ج1، ص240، شجرة النور الزكية ، ص194.

9 -نفح الطيب ج2، ص379، تذكرة الحفاظ ج4، ص1349.

10 -التكملة لكتاب الصلة 162/2 و قال ابن الآبار: "روي عنه أبو العباس بن المزين لقيه سنة (601هـ).

10- أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري[1] ت(609 هـ) وقد ذكره القرطبي في المفهم واستشهد به حيث يقول: "وقد وجدت في أصل شيخنا أبي الصبر أيوب بن محمد الفهري السبتي.[2].

11 - أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي،[3]كان حيا سنة (609 هـ)[4]

12- أبو محمد عبد الله بن سلمان بن حوط الله الأنصاري[5] ت(612هـ).

13- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري ت(617هـ)[6].

14- عوض بن محمود بن صاف بن علي بن سماعيل الحميري المالكي ت(633 هـ)[7].

15- أبو الحسين مرتضي بن العفيف المقدسي ت (634ه) [8]

16- أبو الفضل أحمد بن عبد العزيز السعدي التميمي المالكي ت(648 هـ).[9]

17- زكي الدين أبو محمد المنذري المصري الشافعي ت(656ه). [10]

تلامـــــــذته:

---

[1] -التكملة 168/1، 3/ شجرة النور الزكية ص184.

[2] -المفهم 430/1. 445/6، 37/7

[3] -التكملة لكتاب الصلة ج3، ص226، المفهم 104/1.

[4] -قال ابن الابار: "وأخذ عنه أصحابنا سنة سبع و ستمائة " التكملة ج3، ص227.

[5] -شجرة النور الزكية ص173، و قال ابن فرحون " و قال الدمياطي و ذكر لنا أنه سمع من القاضي الحسن بن علي بن محمد اليحطبي، و أبي محمد بن حوط الله الموطأ" الديباج ج1، ص241، المفهم 141/1.

[6] -التكملة ج2، ص114، شجرة النور الزكية ص175، و روى عنه القرطبي أبو العباس كما أفاده تلميذه القرطبي المفسر في كتاب التذكرة ، ص137.

[7] -قال القرطبي أنا قرأته على الشيخ الفقيه الزاهد الفاضل محي الدين بن ابراهيم عوض بن محمود بمصر / المفهم 104/1.

[8] -وممن أجازه لي الشيخ الفقيه المحدث أبو الحسين مرتضي بن الفقيه المقدسي / المفهم 144/1.

[9] -شذرات الذهب 240/5 الوافي بالوفيات 55/8 ذكره القرطبي في المفهم، 104/1.

[10] -طبقات الفقهاء والشافعي لابن كثير ج2، ص856 ، طبقات الشافعية للسبكي ج8، ص259

جلس أبو العباس القرطبي للتدريس بالأندلس ثم بالإسكندرية بعد الاستقرار بها، و كتب الله له القبول بين الناس فذاعت شهرته في الآفاق، وقصده الطلاب من كل حدب وصوب قال المقري "ثم انتقل إلى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه، و انتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها."[1]

وقال ابن فرحون "وكان يشار إليه بالبلاغة والعلم، والتقدم في علم الحديث والفضل التام، وأخذ عنه الناس من أهل المشرق و المغرب."[2]

ومع هذه الشهرة التي ملأت الآفاق؛ إلا أن تلاميذ القرطبي الذين وصلت إلينا أسماؤهم قليلة إذا ما قيست بالمكانة العلمية المشهود له بها، وقد اجتهدت في جمع من وقفت عليه ممن ذكر من تلاميذه، وفيما يلي أسماؤهم مرتبة على حروف المعجم:

1) أبو الحسين يحي بن علي بن عبد الله القرشي الأموي المالكي ت (662 هـ).[3]
2) أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدي المهلبي توفي بمكة سنة (663 هـ).[4]
3) أبو عبد الله بن الأبار البلنسي ت 658 هـ أجازه القرطبي مكاتبة من الاسكندرية.[5]
4) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان بن سوم البربري الزواوي ت(717 هـ).[6]
5) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ت (691 هـ).[7]
6) أبو عمرو سعد بن خالص بن مهري بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن محمد الحرويُّ ت (لم أقف على تاريخ وفاته).[8]
7) أبو محمد شرف الدين عبد المومن بن خلف الدمياطي (613هـ - 704 هـ).[9]

---

[1] -نفح الطيب 615/2.
[2] -الديباج المذهب، ص131.
[3] -تذكرة الحفاظ ج4، ص1463.
[4] -توضيح المشتبه ج8، ص139، الديباج ج، ص333، 334.
[5] -السلوك 529/2، الديباج ج2، ص241.
[6] -أعيان العصر وأعوان النصر 456/4-457، الدرر الكامنة 448/3، الوافي بالوفيات 115/3.
[7] -الديباج ج308/2، نفح الطيب 409/2، طبقات المفسرين للداودي ج/29
[8] -الذيل و التكملة ج2، ص13-14.
[9] -طبقات الحفاظ 540 ، الدرر الكامنة 417/2.

8) زين الدين اسماعيل بن موسى بن عبد الخالق السقطي الشافعي ت(**739هـ**).[1]

9) يونس بن عيسى بن جعفر بن محمد الهاشمي الأرمنتي ت(**724هـ**).[2]

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد احتل القرطبي رحمه الله منزلة عالية في شتى الفنون وملأت شهرته الآفاق، وكانت هذه المكانة العلمية في حياته بين تلامذته ومعاصريه.

واتفقت كلمة تلامذته ومن ترجم له، على العلم وحسن الأخلاق والزهد والصلاح، فاستحق الثناء والذكر الجميل والاعتراف بالفضل والسبق.

قال المقري: "انتقل إلى المشرق، واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه، وانتفعوا بكتبه، كان بارعا في الفقه والعربية عارفا بالحديث".[3]
قال المقريزي: "فقيه مالكي محدث أصولي .. وكان عالما محققا ثقة."[4]
وقال ابن كثير: "أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث."[5]
وقال الذهبي "عالم الإسكندرية"[6]و "العلامة المحدث."[7]
وقال صلاح الدين الصفدي الشيخ الزاهد الكبير العارف."[8]
وقال الزركلي "فقيه مالكي من رجال الحديث."[9]
وقال ابن العماد: "كان من كبار الأئمة.[10]

وقال محي الدين عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي ت (**775 هـ**) في حق الإمام أبي العباس القرطبي و تلميذه أبي عبد الله المفسر " إمامان محدثان فقيهان مالكيان متعاصران متأخران، عم النفع بتصانيفهما، الموافق والمختلف:

---

[1]-المقفى الكبير للمقريزي ج2، ص184.
[2] -الدرر الكامنة ج4، ص488 الطالع السعيد 423 حيث يقول صاحبه سمع الحديث من أبي العباس أحمد بن محمد القرطبي.
[3]-نفح الطيب ج2، ص615
[4]-المقفى الكبير 545/1.
[5]-البداية و النهاية (226-13).
[6] -سير أعلام النبلاء ج23، ص323.
[7] -تذكرة الحفاظ ج4، ص1438.
[8] -الوافي بالوفيات ج7، ص186.
[9]-الاعلام لأشهر الرجال ج1، ص186.
[10] -شذرات الذهب ج7، ص483.

أحدهما: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ، صاحب كتاب المفهم في شرح مختصر صحيح مسلم وقد رأيت هذا المختصر وهو نفيس جدا، حاويا لجميع روايات أصله.

والآخر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي صاحبه ورفيقه وتلميذه."[1]

وهذه شهادة نفيسة تبين منزلة أبي العباس القرطبي، وعلو شأنه وجودة تصانيفه التي ملأت الآفاق.

مؤلفاته:

إن الآثار التي تركها أبو العباس القرطبي تدل على مكانة رفيعة في الحديث والفقه والأصول، واللغة و الآداب وعلم الكلام، فهو البحر الزاخر، صاحب التآليف الماتعة الجامعة، فقد كان رحمه الله بحرا لا ساحل له في الحديث والفقه والأصول، متضلعا في علوم الشريعة، حائزا قصب السبق، له قدرة عجيبة في الاحتجاج وسرد الأدلة النقلية والعقلية.

وقد بلغت مؤلفاته ما يربو على أربعة عشر(14)سفرا بين الكتاب الكبير والمؤلف الصغير الذي لا يتجاوز ورقات، وقد رمزت للمطبوع منها بحرف ط، وللمخطوط بحرف خ، فيما تركت من لم أعرف وجوده - بعد بحث – خلوا من الترميز مع الإشارة إلى من ذكره من أصحاب التراجم.

وفيما يلي **مؤلفاته**:

1- إظهار و إدبار من أجاز الوطء في الأدبار.[2]

2- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ط.[3]

3- تلخيص كتاب مسلم ط.[4]

4- الجامع لمقاصد الأصول.[5]

---

[1] -الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ج4، ص594 هـ

[2] -ذكره أبو العباس في المفهم ج4، ص157، و ذكره تلميذه المفسر في الجامع لأحكام القرآن 95/3.

[3] -ذكره القرطبي في المفهم ج5، ص163، ج6، 50، ج7، ص404.

[4] -ذكره القرطبي في التلخيص 34/1 في المفهم 84/1.

[5] -ذكره القرطبي مرات عديدة في المفهم منها 131/1، 169 (4، 341) و ذكره الزركشي. ونقل عنه في البحر المحيط ج5، ص225.

5- الجدل.[1]

6- جزء في حكم الطلاق ثلاثا.[2]

7- جزء في مسألة كراء الأرض .[3]

8- جزء في أن حديث شارب الخمر لن تقبل منه صلاة أربعين يوما.[4]

9- كتاب شرح التلقين.[5]

10- الكتاب الجامع لمقاصد الأصول.[6]

11- شرحه لمختصر البخاري.[7]

12- اختصار صحيح البخاري خ.[8]

13- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم و سيأتي الكلام عليه مفصلا.

14- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ط.[9]

---

[1] -ذكره في المفهم ج225/5

[2] -ذكره القرطبي في المفهم 238/4.

[3] -ذكره القرطبي في المفهم 408/4 ، وانظر أيضا المنهج الأصولي لابي العباس القرطبي من خلال كتابه المفهم لـ:ساعد غلاب ص:36-37 رسالة ماجستر بكلية العلوم الاسلامية –الخروبة – جامعة الجزائر

[4] -ذكره القرطبي في المفهم 257/1

[5] -ذكره القرطبي في المفهم 496/1

[6] -ذكره القرطبي في المفهم في مواطن عديدة منها (131/1، 169) ، (341/4) و ذكره الزركشي في البحر المحيط و نقل عنه في مواطن كثيرة منها 8/12، 316/2،2،12 و العلائي في تفصيل الإجمال ، ص108

[7] -الديباج 241/1

[8] -فتح الباري 185/2، 100/10، 520/11، الأعلام للزركلي ج1، ص186، و ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون 354/1

[9] -ذكره القرطبي في المفهم 654/3، و ذكره الصفدي في الوافي بالوافيات ت ج 7، ص173.

المبحث الثاني:

التعريف بكتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم.

وقد اشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: وصف عام للكتاب

المطلب الثاني: موارد المؤلف في الكتاب

المطلب الثالث: منهج الإمام القرطبي في الكتاب

المطلب الاول: وصف عام للكتاب

أ- عنوان الكتاب: لم تختلف المصادر التي ترجمت لأبي العباس القرطبي عن اسم كتابه؛ لأنه رحمه الله صرح بذلك مما لا يدع مجالا للشك، فقال في مقدمة الكتاب: وسميته بـ: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم".[1]

ب- الباعث على تأليف الكتاب:

ارتبط القرطبي رحمه الله بكتاب مسلم منذ بداية الطلب فكان يرويه عن علماء قرطبة قراءة و سماعا[2]، ولم يكتف رحمه الله بالرواية فقط بل ساقه شغفه بصحيح مسلم إلى اختصاره تيسيرا لمن أراد أن يتفقه فيه، وتقريبا لمن أراد حفظه والاشتغال به، ولم تقف همة القرطبي عند هذا الحد بل انبرى إلى شرح اختصاره لصحيح مسلم وحل مشكلاته بما رواه عن مشايخه، وبما فتح الله عليه من الفهم والإدراك، تيسيرا للطالبين والباحثين حيث يقول رحمه الله: "فلما حصل من تلخيص كتاب مسلم وترتيبه وتبويبه المأمول وتسهيل إلى حفظه وتحصلة الوصول، رأينا أن نكمل فائدته للطالبين، ونسهل السبل إليه على الباحثين بشرح غريبه والتنبيه على نكت من إعرابه، وعلى وجوه الاستدلال بأحاديثه وإيضاح مشكلاته حسب تبويبه وعلى مساق ترتيبه فنجمع فيه ما سمعناه من مشايخنا أو وقفنا عليه في كتب أئمتنا أو تفضل الكريم الوهاب بفهمه علينا على طريق الاختصار ما لم يدع الكشف إلى التطويل والإكثار حرصا على التقريب والتسهيل، وعونا على الفهم والتحصيل."[3]

جـ - قيمته العلمية: يعتبر كتاب المفهم للقرطبي شرحا واضحا ذا أهمية كبيرة فهو حلقة وصل بين المازري والقاضي عياض من جهة، ومن جاء بعده كالأبّي والسنوسي، وأولى من يعبر عن هذه القيمة هم العلماء الذين حبروا المفهم، وأدركوا مكانته بين شروح مسلم، فقال ابن فرحون: "وله كتاب على صحيح مسلم، شرح أحسن فيه، وأجاد سماه "المفهم"[1] ، وقال المقري: "هو من أجل الكتب"[2] ، وقال ابن كثير: "وشرح صحيح مسلم المسمى بـ "المفهم" وفيه أشياء حسنة مفيدة محررة

---

[1] -المفهم 16/1

[2]-المصدر السابق 16/1.

[3]-المصدر السابق 40/1.

[1]-الديباج لابن فرحون 241/1.

[2]-نفح الطيب 615/2.

رحمه الله"[3] ، وقال الذهبي: "تم شرح مختصر مسلم بكتاب سماه "المفهم" أتى فيه بأشياء مفيدة"[4] ، وقال الإمام بن أيبك الصفدي: "شرح مختصر صحيح مسلم وسماه المفهم وأتى فيه بأشياء مفيدة."[5]

وبعد اطلاعي على هذا السفر الجليل أدركت دقة هذه الشهادة من المحققين فقد وقفت على فوائد عظيمة ألخصها فيما يلي:

-كثرة النقول عن المتقدمين، وبسط مذهب الصحابة والأئمة، واعتماده على مصادر بعضها في حكم المفقود، فهو مصدر مهمّ لكثير من الأقوال والآثار الواردة عن السلف في العقائد والأحكام، كما كان المفهم حافظا لما عدا عليه الزمن، وأتلفه الأعداء من تراثنا العربي والإسلامي.

- نقله لأحاديث وآثار من مصنفات هي اليوم في حكم المفقود بحيث يورد أحاديث منها كمسند بقي بن مخلد، وحديث ابن علي البغدادي[6] ، وتاريخ محمد بن سعد البغدادي.

- سهولة العبارة ودقة المعلومات وابتعاده عن التكلف والتعقيد والغموض والمسائل التي ليست لها علاقة بالحديث، حيث استخدم ملكته العلمية واللغوية في تبسيط وحل ما أشكل من الأحاديث، بخلاف من سبقه كالمازري والقاضي عياض اللذين يتسم شرحهما بالعمق.

- اشتماله على كثير من المسائل الأصولية، والأحكام الفقهية، وكم التشريع والصناعة الحديثية.

- الاهتمام بتدوين فوائد الحديث والتقاط ما يستفاد منها، بعبارة واضحة تعطي المدلول، وتؤدي المعنى، وهذا لا نجده عند غيره من شراح صحيح مسلم ومثال ذلك قوله:

1- وفي هذا الحديث أعني حديث عمر بن العاص رضي الله عنه فوائد منها: تبشير المحتضر وتذكيره بأعماله الصالحة، ليقوى بها رجاؤه، ويحسن بالله تعالى ظنه،

---

[3]-البداية والنهاية 226/13

[4]-تاريخ الاسلام 225/48.

[5]-الوافي بالوفيات 173/7

[6]-الشيخ العالم الثقة مسند اصبهان، أبو علي الحسن بن علي بن أحمد البغدادي الشطرنجي التاجر نزيل اصبهان ت (329 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء ج17، ص112.

ومنها أن الميت ترد عليه روحه، ويسمع حس من هو على قبره، وكلامهم، وأن الملائكة تسأله في ذلك الوقت .."[1] .

2- وقوله في كتاب الأقضية باب الاعتصام بحبل الله، "حديث إذا حكم الحاكم فاجتهد"، وأعظم فوائد هذا الحديث: أن الحاكم لابد أن يكون من أهل الاجتهاد.."[2] ، وتحرير الإمام القرطبي للفوائد المستفادة من الحديث لا يخلو منها باب في المفهم.

- كثرة النقول عنه؛ فهو مادة خصبة استفاد منها كثير من العلماء وممن نقل عنه أبوعبد الله القرطبي(**681ه**)[3] ، والزين العراقي ت(**806ه**)[4] ، والحافظ ابن حجر (ت**852هـ**)[5] ، والإمام الزرقاني ت(**1122ه**)[6] والإمام الصنعاني ت(**1185هـ**)[7] ، والإمام الشنقيطي ت(**1393ه**)[8] .

- اهتمام القرطبي بالسياق في توجيه دلالات الأحاديث، حيث نال إعمال السياق بقسميه المقامي والمقالي حظا وافرا في المفهم، وحسب تتبعي لأعماله في توجيه دلالات الأحاديث وجدتها في مئات المواضع، وتنوعت عبارات القرطبي في ذلك فيذكر مثلا سياق الكلام، وسياق النظم، والنكرة في سياق الشرط، وظاهر الحديث فيقول مثلا: "وقوله من المسلمين" دليل على أنها لا تخرج عن العبد الكافر وهو قول الجمهور، وقد تأول الطحاوي قوله من المسلمين أنه عائد إلى السادة المخرجين وهذا لا يقتضيه مساق الحديث فتأمله."[1]

وقوله أيضا: "ويفيد أن تأخير القضاء إلى شعبان مسوغ، وأن المبادرة به أولى، وأن ذلك التأخير كان عن إذنه صلى الله عليه وسلم وارتفع "الشغل في الرواية الأولى

---

[1] -المفهم 227/1.
[2]-المصدر السابق 134/5.
[3]-انظر الجامع لا حكام القران لابي عبد الله القرطبي ج:13 ص:236
[4]-انظر طرح التثريب في شرح التقريب للزين العراقي ج :2 ص:67
[5]-انظر فتح الباري للحافظ بن حجر ج1:ص:179،ج3 ص:249
[6]-شرح الموطأ للإمام الزرقاني ج2 ص:21،ج3 ص:247
[7]-انظر سبل السلام في شرح بلوغ المرام للإمام الصنعاني ج:4 ص:193
[8]-انظر اضواء البيان للإمام الشنقيطي ج1 ص:126-127، وانظر أيضا المنهج الأصولي لابي العباس القرطبي من خلال كتابه المفهم لـ:ساعد غلاب ص:52-53 رسالة ماجستر بكلية العلوم الاسلامية – الخروبة – جامعة الجزائر
[1]-المفهم 16/3.

على أنه فاعل بفعل مضمر دل عليه المساق كأنها قالت منعني الشغل، وظاهر مساق الألفاظ أنه من قول عائشة"[2].

د/ طبعات الكتاب

طبع الكتاب طبعات متعددة أهمها:

- طبع جزء منه بتحقيق الدكتور عائض القرني عن دار ابن حزم في مجلدين، وأصل التحقيق رسالة دكتوراه.

- طبع بمطبعة الكرامة – الرباط – بتحقيق د عبد الهادي التازي في خمس مجلدات سنة **1426 هـ -2005**م تبتدأ بكتاب الحج، وتميزت هذه الطبقة في أن المحقق تكلم في مقدمته عن اهتمام المغاربة بصحيح مسلم وعلو إسنادهم فيه، واختصاره وشرحه، وترجم لمؤلفه ترجمة لا تكاد تذكر مع حجم المقدمة، واعتمد المحقق على نسخة ابن بطوطة التي كتبت عام **727**هـ ، ومما يؤخذ عنها أيضا عدم تخريج الأحاديث، والإيجاز المخل.

- طبع أيضا بدار ابن كثير ودار الكلام الطيب سنة **1996**م بتحقيق محي الدين مستو، ويوسف علي بدوي وأحمد محمد السيد، ومحمود ابراهيم بزال في سبع مجلدات ترجمت للمؤلف ترجمة تامة، إلا أنهم وقعوا فيما وقع فيه بعض من ترجم للقرطبي من المغاربة من الوهم في رحلته إلى المشرق صغيرا، ومن مزايا هذه الطبعة أيضا الفهرسة القيمة للكتاب وندرة الأخطاء المطبعية.

- طبع بالمكتبة التوفيقية بمصر بتحقيق هاني الحاج في سبع نسخ والثامنة للفهارس، وهي طبعة ذكر فيها المحقق استدراكه عن طبعة دار ابن كثير فيما يتعلق بتخريج الأحاديث و إن كانت تبقى دورها في الضبط والإتقان، وهذه النسخة هي التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة.

[2]-المصدر السابق162/3.

المطلب الثاني: موارد المؤلف في الكتاب

اعتمد القرطبي رحمه الله في كتابه على مصادر مهمة بعضها من قبيل المفقود وبعضها ميسر موجود، بحيث يعتبر المفهم مصدرا لما اندثر من المصادر، ولم تبق منها إلا شذرات ودرر مبثوثة سبك القرطبي بها كتابه، وسعة اضطلاعه وتطلعه جعلت مصادره كثيرة في عددها متنوعة في اختصاصاتها، ومن أهم هذه المصادر التي استقى منها غالب مادة الكتاب.

1 /كتب السنة: الكتب الستة، موطأ الإمام مالك(**179ه**)، سنن الدارقطني (**385ه**)، مسند الإمام أحمد(**241ه**)، مسند البزار(**292ه**)، مسند الإمام الدارمي(**255ه**)، المصنف لابن عبيد(**224ه**)، مشكل الآثار وشرح معاني الآثار للطحاوي(**321ه**)، صحيح محمد بن يحي الهمداني[1] ، مسند الحارث بن أبي أسامة(**282 هـ**)، مسند بن أبي شيبة(**235ه**)، مسند سفيان بن عيينة(**198ه**)، مسند بقي بن مخلد(276ه).

2-كتب غريب الحديث: كشف مشكل أحاديث الصحيحين لابن الجوزي (**597هـ**)، غريب الحديث للخطابي (**388ه**)، غريب الحديث وتأويل مختلف الحديث ومشكل الحديث لابن قتيبة (**276ه**)، غريب الحديث لإبراهيم الحربي (**285ه**)، غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (**224ه**)، الغريب لأبي عبيدة الهروي الشافعي (**401هـ**)، اختلاف الحديث للشافعي(**204ه**).

3-كتب شراح الحديث: المعلم لأبي عبيد الله المازري (**536 هـ**)، إكمال المعلم للقاضي عياض ت (**544 هـ**)، التمهيد لابن عبد البر ت(**463 هـ**)، معالم السنن للخطابي ت (**388 هـ**)، شرح البخاري لأبي جعفر الداودي ت (**402ه-**)، المنتقى لأبي الوليد الباجي ت (**474 هـ**).

كتب الفقه:

المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس ت (**179 هـ**)، الموازنة لابن المواز ت (**269هـ**)، العتبية لمحمد بن أحمد العيني ت (**255 هـ**)، الواضحة (**238هـ**)، التفريع لابن الجلاب البصري المالكي ت (**278 هـ**)، الزاهي في أصول السنة لابن اسحاق بن سفيان ت

[1]-محمد بن أبي زكريا يحي بن النعمان أبو بكر الهمذاني الفقيه الشافعي صاحب ابن سريج، كان أوحد زمانه بالفقه، وله كتاب السنن، لم يسبق إلى مثله، روى عنه الحاكم والقاضي عبد الجبار المتكلم. انظر تاريخ الإسلام: (390/25) وطبقات الشافعية للإسنوي: (296/2)

(355 هـ)، مختصرات عبد الله بن عبد الحكم المالكي ت (214 هـ)، رسالة بن أبي زيد القيرواني ت (386 هـ)، شرح الرسالة للقاضي عبد الوهاب ت (422 هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ت (595 هـ).

كتب اللغة:

كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت (170 هـ)، جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد (321هـ)، كتاب الألفاظ لابن السكيت ت (244 هـ)، الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ت(393هـ)،كتاب اليواقيت لأبي عمر المطرز ت(345ه).

المطلب الثالث: منهج الإمام القرطبي في المفهم:

يعتبر صحيح مسلم من أمهات الكتب، وهو أحد كتاب الجوامع التي احتفى بها العلماء، فقد اتجهت هممهم إلى الاعتناء به شرحا واختصارا وتعليقا وكلاما حول رجاله ودرره وفوائده، حيث زادت الشروح التي وضعت عليه ما يزيد على أربعة وستين64 شرحا بالعربية وخمسة شروح بغير العربية.[1]

فهو كتاب حافل، مليء بالنكت العلمية والفوائد الإسنادية التي عكف العلماء عليها، فتوالت الشروح عليه، وعرف المحققون فضله وسبقه حتى قال الحافظ ابن حجر: "حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله بحيث أن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن اسماعيل ، وذلك لما اختص به من جميع الطرق، وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى"[2]

وكان أهل المغرب يفضله على صحيح البخاري كابن حزم والقرطبي أبو العباس ونقل ذلك ابن خلدون في مقدمته فقال: "وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكدوا عليه و أجمعوا على تفضله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه."[3]

وتسابق العلماء في شرح صحيح مسلم، لنيل شرف خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألف المارزي (536 هـ) شرحا سماه المعلم بفوائد مسلم، وأتى بعده القاضي عياض (544 هـ) فشرحه في كتاب سماه إكمال المعلم، وهو كتاب نفيس اعتمده كل من أتى بعد القاضي عياض، لكن الناظر لشرح الإمام أبي العباس القرطبي يدرك أنه لا يقل أهمية عن الشروح التي سبقته[4] ، بحيث يعتبر حلقة وصل بين كتابي المعلم وإكمال المعلم وبين الكتب التي أتت بعد كالمنهاج للنووي (676 هـ)

[1]- الإمام مسلم بن الحجاج صاحب المسند الصحيح و محدث الإسلام الكبير ، مشهور بن حسن ، دار القلم ، ص261-262.

[2]- تهذيب التهذيب ، لابن حجر ج10، ص127، طبعة دار احياء التراث العربي.

[3]- مقدمة ابن خلدون ص414، دار العمل الجديد و أشار إلى ذلك الحافظ العراقي في ألفيته: "

أول من صنف في الصحيـــح محمد و خص بالترجيح

ومسلم بعد وبعض الغرب مع أي على فضل والو تقع

انظر: ألفية العراقي

4-انظر أراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم لـ: عبد الله بن محمد الرميان ص:154 دار ابن الجوزي ط:1427

وإكمال إكمال المعلم للأبي المالكي (728هـ) ، ومكمل إكمال الكمال لمحمد بن يوسف السنوسي (795 هـ).

قال المقري: "هو من أجلّ الكتب، ويكفي شرفا اعتماد النووي-رحمة الله تعالى عليه في كثير من المواضع.[1]

واعتمد القرطبي رحمه الله في شرحه على ثقافة متنوعة وملكة علمية في الحديث واللغة والأصول، إذ يمثل هذا الشرح ثمرة ما وصل إليه الإمام القرطبي من الإبداع والجودة والإتقان.

حيث يقول رحمه الله: "رأينا أن نكمل فائدته للطالبين ونسهل السبل إليه على الباحثين بشرح غريبه والتنبيه على نكت من إعرابه، وعلى وجوه الاستدلال بحديثه وإيضاح مشكلاته حسب تبويبه وعلى مساق ترتيبه، فنجمع فيه ما سمعناه من مشايخنا أو وقفنا عليه في كتب أئمتنا، أو تكرم الكريم الوهاب بفهمه على طريق الاختصار ما لم يدع الكشف إلى التطويل والإكثار."[2]

ومن خلال استقراء المفهم: يمكن أن نجمل منهجه رحمه الله بما يلي:

شرح غريب الحديث:

يعتني القرطبي رحمه الله بشرح غريب الألفاظ عناية فائقة من خلال ضبط الألفاظ، واستعراض أقوال علماء اللغة في شرحها، ويشير إلى الأرجح منها، وقد يورد رحمه الله بعض الألفاظ من صحيح مسلم ويقول جاء في الأم. "[3]

ومثال ذلك شرحه للفظ الفدّادون قال "مشدد الدال: جمع فدّاد قال أبو عبيد: هم المكثرون من الابل، وهم جفاةٌ؛ أهل خيلاء وأحدهم فداد، وهو الذي يملك من المائتين إلى الألف، وقال الأصمعي: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم، قال: والفديد الصوت وقد فدّ الرجل يفدُّ فديدا وأنشد:

أعاذلَ ما يدريك أن رب هجمةٍ // لأخفافها فوق المتان فريد"[1]

[1]- نفح الطيب 615/2.
[2]-المفهم 16/1.
[3]-المصدر السابق 45/1.
[1]-المفهم 151/1.

نقد الأسانيد والمتون والحكم على الأحاديث: سعة علم القرطبي وتمكنه من شتى العلوم مكنته من نقد الأسانيد والحكم على الأحاديث واختلفت عبارته رحمه الله بين (حديث ثابت) (إسناد صحيح) (لا يصح عند أهل النقل) ويبرز رحمه الله أحيانا سبب حكمه على الحديث ومثال ذلك:

1- حديث: "فأما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله :" البينة على المدعي واليمين على من أنكر" فليس بصحيح الرواية، لأنه يدور على مسلم ابن خالد الزنجي[2] ولا يحتج به."[3]

2- ذكر في كتاب الجنائز باب الصلاة على الميت في المسجد، حديث عائشة، أنها قالت: لما توفي سعد (..) قال: وفي إسناده صالح مولى التوأمة[4] ، وكان قد اختلط حديثُه بأخَرَة ، فقال مالك فيه: ليس بثقة. وقال فيه غيره: حديثه قبل الاختلاط صحيح، وهذا الحديث مما رواه عنه ابن أبى ذئب قبل الاختلاط، على ما قاله أبو أحمد بن عدي وغيره من أئمة المحدثين[5].

3- ذكر في كتاب الصلاة باب سجود القرآن، حديث سجود المشركين عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم :1] فسجد فيها ثم قال: وروى أصحاب الأخبار والمفسرون أنَّ سبب ذلك ما جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر الثناء على آلهة المشركين في سورة النجم، ولا يصح هذا من طريق

2 -الإمام فقيه مكة أبو خالد مسلم بن خالد المخزومي ، الزنجي المكي ، مولى بني مخزوم . ولد سنة مائة ، أو قبلها بيسير.
حدث عن ابن أبي مليكة ، وعمرو بن دينار ، والزهري وحدث عنه الحميدي ، ومسدد ، والحكم بن موسى .
قال يحيى بن معين :ليس به بأس . وقال البخاري :منكر الحديث . وقال أبو حاتم :لا يحتج به . وقال ابن عدي :حسن الحديث مات سنة ثمانين ومائة. أنظر سير أعلام النبلاء (8/178-177)

3-المصدر السابق 241/1

4-صالح بن نبهان مولى التوأمة بنت أمية بن خلف المديني وهو صالح ابن أبي صالح. روى عن أبي الدرداء وعائشة وأبي هريرة وابن عباس وزيد بن خالد وغيرهم وعنه موسى بن عقبة وابن أبي ذئب وابن جريج قال عمرو بن علي عن القطان لم يكن بثقة وقال بشر بن عمر سألت مالكا عنه فقال ليس بثقة وقال أحمد بن حنبل كان مالك أدركه وقد اختلط ..وقال عبدالله بن أحمد سألت ابن معين عنه فقال ليس بقوي في الحديث مات سنة خمس وعشرين ومائة انظر تهذيب التهذيب (356/4)

5-المصدر السابق 502/2

النقل ولا العقل، وأشهر طريق النقل ففيه الكلبي[1] وهو كذاب، وأما العقل فلا يصدق بذلك."[2]

3-ذكر في كتاب الحج باب في حجة النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "حتى انصبت قدماه في بطن الوادي ب (إذا) وقال هكذا في جميع النسخ الواصلة إلينا من مسلم، ليس في أصول شيوخنا فيها اختلاف، وفيه وهم.[3]

اهتمامه بالنحو والإعراب:

اهتم القرطبي بالنحو والإعراب ما لم يدع ذلك إلى التطويل والإكثار، التزاما بمنهجه في مقدمة المفهم ولكي لا يخرج هذا الشرح عن الغاية التي أُلف لأجلها، بحيث أن المسائل النحوية التي تعرض لها في المفهم تدل على فهمه الواسع في النحو والبيان، ومن ذلك:

1- قوله:" وتصل ذا رحمك "يعني قرابتك، وعلى هذا فتكون القرابة جنسا مضافا إلى ذي ، فإن حكمها أن تضاف إلى الأجناس، وهذا أولى من قول من قال: إن الرحم هنا اسم عين، وإنها هنا بمنزلة قولهم: ذو نواس وذو يزن وذو عين وهي من الأسماء الستة التي أعلت بحذف لاماتها في الأفراد، ورفعها بالواو ونصبها بالألف وخفضها بالياء، وقد ذكر النحويون أوزانها وأحكامها."[4]

2- وقال أيضا: "وبعد: ظرفٌ قطع عن الإضافة مع إرادة المضاف وهو السموات والأرض فبني على الضم لأنه أشبه بحرف الغاية"[1].

التركيز على تأويل المختلف وحل المشكل:

اعتنى القرطبي بإيضاح ما أشكل فهمه في بعض الأحاديث مع المحافظة على الترتيب والتبويب، وقد بين رحمه الله أن مصدره في إيضاح الإشكال إمَّا:

1- ما سمعه من شيوخه.

1- هو أبو النضر محمد بن السائب بن المفسر وكان أيضا رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث متهم بالكذب يروي عنه ولده هشام وطائفة. أنظر سير أعلام النبلاء/الذهبي (248/6) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني(479/1)

[2]-المصدر السابق 158/2.

[3]-المفهم 259/3.

[4]-المصدر السابق94/1

[1]-المصدر السابق 65/2.

2- ما وقف عليه في كتب الأئمة.
3- أن يكون عن طريق اجتهاده.

وقصد القرطبي رحمه الله هو شرح المشكل من ألفاظ مختصر صحيح مسلم الذي ألفه، فلا عجب أن نجد أحاديث لا يشرحها لأنه لا إشكال فيها، وقد ساعده رحمه الله على عرض الاحتمالات والافتراضات وحل المشكل اشتغاله أول حياته بالمعقولات[2] ، و إمامته في علم العربية والبيان.

التزم طريق الاختصار وعدم التطويل: وهو مقصد المؤلف رحمه الله من شرح مختصره على صحيح مسلم حيث يقول في مقدمة المفهم :"بفهمه على طريق الاختصار، ما لم يدع الكشف إلى التطويل والإكثار".[3]

ولقد التزم رحمه الله بذلك فنجده يقول : "وفيه أبواب من الفقه لا تخفى على متأمل"[1] " فلنقتصر على البحث عن مضمون ألفاظه، ومشكل معانيه على ما شرطناه من الإيجاز"[2] "وهو ظاهر في تفضيل الملائكة على بني آدم وهو أحد القولين للعلماء وللمسألة غور ليس هذا موضع ذكره."[3]

---

[2]-نفح الطيب 615/2
[3]-المفهم 15/1
[1]- المفهم 270/42
[2]-المصدر السابق 253/42
[3]-المصدر السابق 6/7

الفصل الثاني ؛:السياق مفهومه وأصوله وأنواعه

و قد اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف السياق والألفاظ التي يعبر بها عنه

المبحث الثاني: أصول النظرية السياقية

المبحث الثالث: أنواع السيـــــــــاق وبنيته

المبحث الأول:

تعريف السياق والألفاظ التي يعبر بها عنه

و قد اشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: الألفاظ التي يعبر بها عن السياق

تمهيد:
إن ضوابط فهم النصوص النبوية وكيفية التعامل معها عديدة، انبرى لها العلماء والباحثون بالتدقيق والتنبيه، وقد جعلوا للتعامل مع ألفاظها قواعد تضبط مسالك الفهم وتعصم من الزلل، فكانت أنواع كثيرة تمثل هذه القواعد من علم مختلف الحديث، وغريبه، ووروده، والناسخ والمنسوخ ...الخ[1].
وقواعد أخرى لحسن الفهم جاءت في ممارسة العلماء، وشرحهم للحديث النبوي، ومن تلك القواعد اعتبار السِّياق في فهم النص النبوي، وهي قاعدة مهمة اعتنى بها العلماء حتى قال الإمام ابن دقيق العيد:"السياق طريق إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات وتنـزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة من قواعد أصول الفقه، ولم أر من تعرّض لها في أصول الفقه بالكلام عليها، وتقرير قاعدتها مطولة إلا عند بعض المتأخرين ممن أدركنا أصحابهم، وهي قاعدة متعينة على الناظر ذات شعب على المناظر"،[2] وأكدَّ ابن القيم كذلك على أهميتـــه فقال:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته. "[3]
والسياق له أهمية كبيرة أيضا في تبيين زيف وتخليط أصحاب القراءات المعاصرة للسنة النبوية غير الممنهجة، والتي هي في الأساس الدعوة إلى ضرورة قراءة النص الديني خارج تداوله؛ أي خارج نطاق أيّ قراءة أسبقية تراثية له، في فصل تام بين النص الديني الإسلامي، وضوابط فهمه وتفسيره في التراث العربي الإسلامي.[4]
وهذا المنهج الحداثي يقوم في الأساس على ليِّ أعناق النصوص، وعزلها عن التراث، ورفع القدسية عنها، وأنَّ التراث يشمل كلام الله، وكلام النبي صلى الله

[1]-انظر دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي من خلال تطبيقات الأئمة د: عبد المحسن التخيفي، مقال في كتاب الأمانة العامة لندرة الحديث الشريف ، العدد 4 سنة 1430، 2009، كلية الدراسات العربية.
[2]-إحكام الأحكام شرح عمدة الاحكام لابن دقيق العيد، 258/02 مصطفى
[3]-بدائع الفوائد لابن القيم ج: 4 ص: 9-10
[4]- انظر الحداثة وموقفها من السنة ، رسالة الدكتوراه، الحارث فخري عيسى عبد الله ص46،

عليه وسلم، وما كان بشريّ المصدر أيضا، وما ذلك إلا تمهيدٌ لرفع القدسية على النصوص النبوية.

المطلب الأول: تعريف السياق

أولا :السياق لغة

يعد المفهوم اللغوي للألفاظ مهما؛ لأنه يساعد على تحديد المعنى الاصطلاحي، لذا كان لا بدّ من تتبعه للوقوف على دلالاته.

يقول صاحب جمهرة اللغة ابن دريد ت(321ه): "السوق مصدر سقت البعير وغيره، أسوقه سوقا ،والسَّوَقُ: غلظ الساقين رجل أسوق وامرأة سوقاء.."[1].

وذهب ابن فارس ت(395ه) أن: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال ساقه يسوقه سوقا، والسّيّقة: ما استيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها. وأسقته، والسّوق مشتقة من هذا، لما ساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها".[2]

وجاء في أساس البلاغة قول الزمخشري ت(538ه)"ومن المجاز: ساق الله إليك خبراً، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، وأردت هذه الدار بثمن فساقها الله إليك بلا ثمن، والمختصر يسوق سياقا، وفلان في ساقه المعسكر في آخره.. وتساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، .. وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه."[3]

ويقول صاحب لسان العرب ت(711ه): " السوق معروف. ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد للمبالغة، وقوله تعالى: وجاءت كلُّ نَفْسٍ معها سائقٌ وشَهيد؛ قيل في التفسير:سائقٌ يَسُوقها إلى محشرها، وشَهِيد يشهد عليها بعملها، وقيل: الشهيد هو عملها نفسه، وأَساقَها واسْتاقَها فانْساقت وفي الحديث: وسَوَّاق يَسُوق بهن أي حادٍ يَحْدُو الإبلَ فهو يسُوقهن بحُدائِه، وسَوَّاق الإبل يَقْدُمُها؛ ومنه: رُوَيْدَك سَوْقَك بالقَوارير.

وقد انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة.

وساقَ إليها الصَّداق والمَهرَ سِياقاً وأَساقَه، وإن كان دراهمَ أَو دنانير، لأن أَصل الصَّداق عند العرب

---

[1]-جمهرة اللغة لابن دريد ، ت (361) ج2، ، ص853

[2]-معجم مقاييس اللغة لابن فارس ت (395 هـ) ، ص117

[3]-انظر أساس البلاغة للزمخشري ج1، ص484

الإبلُ، وهي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما. وساقَ فلانٌ من امرأته أي أعطاها مهرها. والسِّياق: المهر. وفي الحديث: أنه رأى بعبد الرحمن وَضَراً مِنْ صُفْرة فقال: مَهْيَمْ، قال: تزوَّجْتُ امرأة من الأَنصار، فقال: ما سُقْتَ إليها؟ أَي ما أَمْهَرْتَها، قيل للمهر سَوْق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأَنها كانت الغالبَ على أموالهم، "[1] .

وقال في المعجم الوسيط " السياق: المهر، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، والسياق النزع، يقال هو في السياق أي في الاحتضار، والسّيّقُ من السحاب ما ساقته الريحُ وطردته كانَ فيه ماءٌ أو لم يكن"[2].

ومن خلال ما سيق يتبين أن أصل مادة السياق تدور حول التتابع ولحاق الشيء بالشيء وتسلسله واتصاله به.

يقول الدكتور تمام حسان - تأكيدا لهذه المعاني اللغوية التي تدل على التتابع والإيراد- المقصود بالسياق (التوالي)، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين:

الأولى: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص.

والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق سياق الموقف.[3]

ثانيا: السياق في الاصطلاح:

مصطلح السياق من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق، بحيث أنه عند الرجوع إلى المصادر التي اعتنت به، نجد تباينا واضحا بين موسع ومضيق لمعناه يقول الدكتور ابراهيم أصبهان: "الحقيقة أن

مصطلح (السياق) يعتبر من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق حتى قال الدكتور طه عبد الرحمان: بأنه بحث في كثير من المقالات من أجل العثور على بعض التعريفات ولم يجد تعريفا محددا للسياق.[1]

---

[1]-انظر لسان العرب لابن منظور ، ص1153

[2]-المعجم الوسيط ، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص465

[3]- قرينة السياق: د تمام حسان بحث قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم ، مطبعة عبير الكتاب ، القاهرة، 1413-1993 ، ص375، نقلا من رسالة أثر السياق في فهم الحديث عند ابن حجر من خلال فتح الباري لـ 42 للطالب أحمد مصطفى أحمد الاسطل رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية ، غزة ، قسم اللغة العربية 1432-2011.

لذا اتجه بعض الباحثين إلى التعرف على خصائصه، وفهم عناصره، وبيان أثرها في تحديد المعنى، ولم يقف عند إشكالية التعريف.[2]
وقد ذكر ردة الله الطلحي ثلاثة معان للسياق فقال: وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:
الأولى: أن السياق هو الغرض أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام ..
الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها ..
الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل..."[3]
وذكرت الباحثة فاطمة بوسلامة أن للسياق أربعة معان: "وهي تأتي في الاستعمال الغالب للتعبير عن المعاني الآتية:
المعنى الأول: يقصد بالسياق ما يسبق أو يلحق ما هو موضع بيان أو تأويل، أو جملة العناصر المقالية المحيطة بالآية أو الجملة موضوع الدراسة.
المعنى الثاني: يقصد بالسياق ما يلحق الآية أو الجملة فقط دون ما يسبقها.
المعنى الثالث: أنه ما سيق الكلام لأجله
المعنى الرابع: وهو معنى موسع للسياق.[4]
يقول الدكتور عبد الرحمان بودرع: السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص، ووحدته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية، وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ."[1]
وتعرفه الأستاذة فاطمة قاسم: " السابق واللاحق في النص أو ما سبق أو تأخر من جملة أو كلمة، أو كل ما يحيط بالنص، سواء تعلق بالنحو أو البلاغة أو المقصد أو الحالة أو غير ذلك وبعبارة أخرى: المراد من النص النبوي من خلال القرائن اللفظية والحالية.[2]

---

[1]-انظر السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثية ، لإبراهيم أصبهان ، مجلة الاحياء ، العدد 25، ص54، مجلة فصيلة تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، العدد 25 ، جمادى الثانية 1428، يوليو 2007.

[2]-انظر السياق و تطبيقات الاستدلال في بيان السنة النبوية عند الامام ابي العباس القرطبي، الاستاذة فاطمة قاسم، مجلة المعيار، العدد39، مجلة تصدر عن كلية أصول الدين، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة – الجزائر – رمضان 1437 – جوان 2015.، ص 156.

[3]-دلالة السياق لردة الله الصلحي، ص50،

[4]-السياق عند الاصوليين ، المصطلح والمفهوم لـ: فاطمة بوسلامة، ص38 مجلة الاحياء 25.

[1]-عبد الرحمن بودع ، منهج السياق في فهم النص ، طبع ضمن سلسلة كتاب الامة التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بقطر، رقم الكتاب 111 ، ط1، سنة 1427 و انظر مجلة الاحياء ايضا العدد 25، ص72.

[2]- أنظر السياق وتطبيقات الاستدلال لـ فاطمة قاسم مجلة المعيار، ص157.

وهذا التعريف هو المختار وعليه فالسياق هو كل مايحيط بالنص داخليا كان أو خارجيا عنه يساعد في توجية المعنى وكشف الدلالة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي يعبر بها عن السياق:

يعبر العلماء عن السياق بألفاظ مرادفة مثل المقام، النسق، الاستعمال، ظاهر الحديث، فحوى الكلام، القرينة ، اللسان ،النظم وغيرها من المصطلحات التي يكون الاعتماد فيها على معنى النص، ومثال ذلك:

1/ اللسان: كلمة اللسان وردت في كتاب الله تعالى كما في قوله ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ ﴾ [النحل ،103] والمقصود به هنا هو القرآن الكريم؛ لأن العرب تطلق اللسان وتريد به الكلام.[1]

والعرب تقول لسان فلان: تعني ثناؤه، أو ذمه.

واشتهرت عبارتا لسان الحال، ولسان المقال في كتب أهل العلم، ومن ذلك :

-ماورد : عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ،ثم قال" أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي ،لا شفاء إلا شفاؤك ،شفاء لا يغادر سقما فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال:" اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى "[2]
قال القرطبي :" وقوله ((الرفيق الأعلى)) ؛ يعني به - والله أعلم - : الملأ الكريم من الملائكة والنبيين . وقيل : يعني به : الله تعالى ، وفيه بُعدٌ من جهة اللسان "[3].
واللسان الذي عبر به القرطبي، وردَّ به معنى من المعاني هو السياق اللغوي .

-ما ورد أيضا عن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض فأخبرها كيف تغتسل قال: " خذي فرصة من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر ؟

قال: تطهري بها، قالت: كيف ؟ قال: سبحان الله، تطهري.فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي اثر الدم. "[4]

[1]- أضواء البيان للشنقيطي ، ج2، ص194.
[2]- اخرجه الامام مسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض رقم :**2191**
[3] - المفهم 461/5
[4]- أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب (ذلك المرأة ..... إذا تطهرت من الحيض و كيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة نبيع بها أثر الدم ، حديث رقم :314 الفتح، 531/1.

قال الحافظ ابن حجر(ت 852): " قوله: (توضئي) أي في المحل الذي يستحيي من مواجهة المرأة بالتصريح به، فاكتفي بلسان الحال عن لسان المقال، وفهمت عائشة – رضي الله عنها – ذلك عنه فتولت تعليمها، وبوب عليه المصنف في الاعتصام: (الأحكام التي تعرف بالدلائل)[1]

فاللسان هنا يراد به سياق الحال.

2/ النظم: كثير من العلماء من يوصف مصطلح النظم للدلالة على السياق اللغوي يقول عبد القاهر الجرجاني: " أعلم أن ليس النظم ؛إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تحل بشيء منها ".[2]

ومثال استعمال العلماء لفظة النظم مرادفة للسياق ،تفسير قوله تعالى:" ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴾[العاديات -7] ، فانّ الضمير يحتمل أن يكون عائدا إلى الإنسان، وأن يكون عائدا إلى رب الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾ [العاديات -6]ولكن النظم الكريم يدل على عودته إلى الإنسان وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات -8]فانه للانسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر يجعل الأول

المبحث الثاني: أصول النظرية السّياقية

وقد اشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول: السّياق عند المتقدمين.

المطلب الثاني: السياق عند المحدّثين.

1 ـالمـ
2 ـدلائ
3 ـأضـ

المطلب الأول: السياق عند المتقدمين

إن المتأمل لجهود أسلافنا يلمس عناية تامة بالسياق، ودوره في بيان الدلالة متقدمين بذلك أكثر من ألف عام عن زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقال، والمقام باعتبارهما أساسيين، متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة.[1]

وإذا أردنا أن نتبين جهود المتقدمين، وإعمالهم للسّياق، ودوره في بيـان الدّلالة، فلابد من مراعاة مشاربهم المعرفيـــة واهتماماتهم العلمية، والتي تصب في الأخير في مصب واحد، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك اهتداء هؤلاء العلماء إلى السّياق، وأهميته في بيان الدلالة، وأن المعاصرين لم يكن لهم إلا شرف الترتيب والتصنيف، ويمكن أن نبرر هذه الجـــهود حسب مشارب كل فريق فيما يلي:

أولا: السياق عند البلاغيين:

تجلى اهتمام البلاغيين في دراستهم واعتناءهم بالسياق على فكرة مقتضى الحال، والعلاقة بين المقام والمقال، فأما مقتضى الحال فهو الاعتبار المناسب الذي يستدعي اشتمال الكلام على سمات وخصائص أسلوبية تناسب المقام أو الحال الذي يلقي فيه.

يقول السعد التفتزاني(791هـ)[2]في تعريفه لبلاغة الكلام "هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، والحال هو الأمر الداعي للمتكلّم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وهو مقتضى الحال، مثل كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضى الحال، وقولك: إنّ زيداً في الدار مؤكدا بإنّ كلامك مطابق لمقتضى الحال."[3]

"فالحال عند البلاغيين باعث على مراعاة خصوصية في الكلام لتطابقها وعند التطابق يتنزل الحال في النص لغويا فتتم البلاغـــــة."[4]

ومن اهتمامهم بأحوال المتكلم والمستمع، ومراعاة أحوال المخاطبين ما جاء على لسان بشر بن المعتمر(**210هـ**)[1] حيث قال "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينهما، وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل

---

[1]-أنظر اللغة العربية، معناها و مبناها، للدكتور تمام حسان، ص 330

[2]-مسعود بن عمر التفتازاني العلامة الكبير صاحب شرحي التلخيص وشرح العقائد في أصول الدين توفي (791هـ) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج:4،ص:350

[3]-المطول شرح تلخيص المفتاح التفتازاني مسعود بن عمر 791هـ ، ص:268

[4] -دلالة السياق، ردة الله الطلحي، ص65.

[1]-أبو سهل الكوفي ، ثم البغدادي ، شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف توفي سنة (210هـ) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج:10،:203

طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[2].

فكلام بشر بن المعتمر **(210هـ)** فيه إشارة إلى أن المتكلم لابد أن يراعي حال المستمع، فالمعاني إما معاني للعامة، أو معاني للخاصة، ومدار الشرف على مدى موافقة المقام للمقال.

وإذا كان المقال يمثل السياق اللغوي فإن البلاغيين قد أولوه عناية كبيرة، وليس أدل على ذلك من ربط عبد القاهر الجرجاني**(741هـ)**[3] فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي، والتركيب الذي قيلت فيه يقول :" وجملة الامر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى: ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾[مريم -4] إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا ."[4]

ويقول القاضي الجرجاني ت(366ه)[5] "فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثته بمقدار دماثة الخلقة، وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك، وأبناء زمانك، و ترى الجافي منهم كز الألفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة أن يحدث ذلك"[1].

ويرى د:هادي نهر في تعليقه على منهج القاضي الجرجاني في إبراز السياق أنه توصل إلى حقيقتين علميتين تعدان من أبرز ما وصل إليه علماء الدلالة المعاصرين.

---

[2]- البيان و التبيين للجاحظ ج1، ص 139.

[3]- أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد، فارسيُّ الأصل، جرجانيُّ الدار، الأشعري، الشافعي، وُلِد بجرجان ولم يبرحها حتى لطلب العلم له من المصنفات " إعجاز القرآن " ، و " مختصر شرح الإيضاح " ، وغير ذلك ،توفي بجرجان ودفن بها سنة (741هـ) انظر سير أعلام النبلاء ج:18،ص:432

[4]- دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص365،

[5]- أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني، ولد بجرجان ونشأ بها توفي في "الري" ودفن في "جرجان" سنة 392 ه له من المصنفات "الوساطة بين المتنبي وخصومة "،و "تفسير القرآن المجيد"، و "تهذيب التاريخ."انظر سير اعلام النبلاء ج:17،ص:20

[1]-الوساطة بين المتني و خصومه للقاضي الجرجاني ص 18.

أولا: أن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، والجرجاني لا يقصد بالسلامة هنا سلامة اللغة المتعلقة بالبيئة، وإنما المرتبطة باتفاق العبارة أو الجملة مع المواقف النفسية اثناء صياغة الرسالة.
ثانيا: ما يرجع إلى صاحب الرسالة ومُنشِئُها، وخصائص ألفاظه ولهجته مما يؤكد أهميته الجانب الصوتي في صياغة الرسالة اللغوية وما يتعلق بها من ظروف محيطة تتمثل في سياق الموقف أو المقام[2].

ويؤكد الدكتور ردة الله الطلحي أن البلاغيين اهتموا بالسياق بنوعيه، إلا أن سياق الموقف لم يكن الاهتمام به متجها نحو الإفادة منه في الكشف عن المعنى بالقدر الذي تبرز أهميته في مطابقة الكلام له وفق خصوصية ما ترد فيه"[3].

ثانيا: السياق عند الأصوليين

يعتبر السياق أحد أبرز أدوات الاستدلال الأصولي التي لها أهميتها البالغة في الكشف عن مراد الله تعالى ومراد النبي صلى الله عليه وسلم ،و قد كان أول من أشار إلى السياق من الأصوليين الإمام الشافعي الذي يعد أول من ألف في علم الأصول حيث بوّب بابا في كتابه الرسالة فسمّاه :**الصنف الذي يبين سياقه معناه**"[4] وأيا كان مراد الإمام الشافعي من السياق هنا فإن لهذه العبارة دلالتها في هذا المقام.

ويقول أيضا:" وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود في أول الكلام ووسطه أو آخره."[1]

ويشير الشافعي رحمه الله إلى قضية مهمة من قضايا السياق؛ وهي سياق النص حين يشير إلى مفهومه وإن لم يصرح به في قوله: "وتبتدئ الشيء (أي العرب)الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها عن أوله وتكلّم بالشيء تُعَرِّفُه بالمعنى، دون الإيضاح باللفظ، كما تعرِّف الإشارةُ، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جَهَالتها."[2]

---

[2]- انظر علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر، ص 281.
[3]-دلالة السياق ردة الله الصلحي ، ص94.
[4]-الرسالة، الشافعي، ص62.
[1]-المصدر السابق ص :67
[2]-الرسالة ، ص52.

واعمال السياق عند الاصوليين كان مهما في فهم النص ودلالته وهذا الإدراك للإمام الشافعي "يعني أن علم الأصول كان يعتبره قيمة مرجعية لفهم النص"[3].
ولأهمية السياق في بيان المراد من النص يقول الإمام بن دقيق العيد(**702ه**)[4] :
"فإن السياق طريق إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، وتنزيل الكلام على المقصود منه وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه، ولم أر من تعرض لها في أصول الفقه بالكلام عليها وتقرير قاعدتها مطولة إلا بعض المتأخرين ممن أدركنا من أصحابهم، وهي قاعدة متعينة على الناظر، وإن كانت ذات شعب على المناظر"[5].

وجزم الإمام ابن القيم(**751ه**)[1] أن إهمال السياق يؤدي إلى الوقوع في الغلط، وفهم الخطاب الشرعي على غير الوجه المراد منه؛ إذ يقول: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾[الجاثية -49] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير."[2]

و قد بان اهتمام الأصوليين بالسياق من خلال:
1- تفطنهم إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية لابد فيها من مراعاة السياقين اللفظي والحالي المقامي.
2- اهتمامهم بدراسة القرائن الحالية المتمثلة في أسباب النزول وأسباب الورود.
3- تقسيمهم الألفاظ إلى عام وخاص ومشترك، والنص على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصه.

---

[3]-دلالة السياق ردة الله الصلحي ، ص106.
[4]- محمَّد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، المعروف بابن دقيق العيد، شاع اسمه وذاع ذكره في حياة مشايخه واشتهر بالتقوى حتى لُقِّبَ بتقي الدين، ولي قضاء مصر ومشيخة دار الحديث الكاملية والفاضلية وغيرهما ،صنف إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، والإلمام في أحاديث الأحكام، والاقتراح في اختصار علوم ابن الصلاح وغيرها ،ترجمته في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 517/2 والدرر الكامنة لابن حجر 91/4
[5]-إحكام الأحكام شرح عمد الأحكام، لابن دقيق العيد ، ص424/01.
[1]-شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن أيوب أبو عبد الله الزُّرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية الحنبلي، الفقيه الأصولي، المفسِّر النحوي، له كتب عديدة، منها: إعلام الموقعين، وزاد المعاد، وشفاء العليل، وإغاثة اللهفان، توفِّي سنة (751ه) ،ترجمته في : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 171/5، الدرر الكامنة 400/3
[2]-بديع الفوائد، لابن القيم ص 42

4- تنصيصهم على أنواع التخصيص كالاستثنائية والحالية والوصفية والبدلية.
5- تقسيمهم الأمر والنهي على أقسام كثيرة كالوجوب والإرشاد والإباحة والإكرام والتعجير ..الخ
6- اشتراطهم أمورا محددة لا ينبغي أن يغفل عنها من يريد أن يستخرج أحكاما شرعية أو فقهية من النصوص ومن بين هذه الشروط:
   1- ألا يغفل عن بعض في تفسير بعض.
   2- ألا يغفل عن السنة النبوية في تفسيره.
   3- أن يعرف أسباب النزول.
   4- أن لا يغفل عن النظم الاجتماعية عند العرب[3].

[3]- انظر علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي لهادي نهر ، ص275.

ثالثا: السياق عند المفسرين:

أدرك المفسرون أهمية السياق في الكشف عن المعنى مراد الشارع الحكيم ، والتوصل إلى ما يعنيه المتكلم من خطابه، ولذلك اعتنى به في بداية التأليف في علوم القرآن، حيث نجد الإمام الزركشي(**794ه**)[1] يؤكد على وجوب مراعاة سياق المقال لمن أراد التصدي لكتاب الله تعالى بالتفسير "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"[2] .

ونبه أيضا عل أهميّة السياق "وما يعين على معرفة المعنى عند الإشكال ... دلالة السياق ويدل عليه ما قبله وما بعده"[3].

واشترطوا في المفسر علوما لابد أن يكون ملما بها، كالعلم باللغة والنحو والتصريف والاشتقاق، وعلوم البلاغة وعلم القراءات وأصول الدين وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ... إلخ، وكل هذا ينتج تحت مفهوم السياق.

وللمفسرين في الكشف عن مراد الله تعالى طريقان التفسير المأثور والتفسير بالرأي.

فأما التفسير بالمأثور فمعتمده على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وأقوال الصحابة؛ الذين عاشوا التنزيل **يقول ابن كثير:** "وحينئــذ إن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنّــهم أدرى بذلك، وشاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها"[4].

فهذه الأنواع الثلاثة من التفسير بالمأثور تعتمد على السياق بنوعيه فتفسير القرآن بالقران أو السنة هو سياق النص ؛ لأنه يفسر بعضه بعضا والسنة شارحة ومبينّة له، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[النجم - 3،4]

وأما سياق الحال (الموقف) فهو في أقوال الصحابة لأنهم شاهدوا القرائن والملابسات والأحوال التي من خلالها يفهم النص.

[1]-محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة قرأ على الشيخ جمال الدين الاسنوي ،وسمع من عماد الدين بن كثير واشتغل بالتصنيف له :تخريج أحاديث الرافعي ،شرح جمع الجوامع،شرح المنهاج وغيرها توفِّي سنة (794ه) ترجمته في الدرر الكامنة 447/3،إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر 446/1

[2]-البرهان في علوم القرآن 317/1.

[3]-البرهان في علوم القرآن 317/1.

[4]- ابن كثير 3/1

وأما التفسير بالرأي فهو " اجتهاد المفسر وإعمال عقله، وعمق نظره وإجالة رأيه، وتقديم خلاصة هذا في تفسير القرآن وبيان معانيه واستخراج دلالته وأحكامه"[1].

ولا شك أن المفسرين نصوا على أهمية اللسان العربي، وأن المفسر إذا لم يجد المعنى في الكتاب أو السنة ومأثورات الصحابة وجب عليه الاجتهاد وإعمال عقله يقول الإمام الزرقاني: "فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفا بقوانين اللغة خبيرا بأساليبها، وأن يكون بصيرا بقانون الشريعة حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه"[2].

ثم يبين رحمه الله أن المفسر إن لم يظفر بتفسير النص من المأثور وجب عليه أن يجتهد متبعا ما يلي:

1- البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق.
2- إرداف ذلك بالكلام من جهة الإعراب والبلاغة.
3- تقديم المعنى الحقيقي على المجازي.
4- ملاحظة أسباب النزول.
5- مراعاة التناسب بين السابق واللاحق بين فقرات الآية الواحدة، وبين الآيات بعضها ببعض.
6- مراعاة المقصد من سياق الكلام... الخ [3].

ومن خلال ما سبق نلاحظ اهتمام المفسرين بالسياق اللغوي وأحكامه ووجوهه، واشترطوا أيضا جملة من الشروط تؤكد اهتمامهم وعنايتهم بالسياق الخارج عن النص (السياق المقام) ومن ذلك:

1- معرفة المكي والمدني من الآيات القرآنية.
2- معرفة زمن نزول الآيات.
3-معرفة الناسخ والمنسوخ.
4-اهتموا بأسباب النزول لمعرفة الوقائع والملابسات التي صاحب نزول النص القرآني.

ويذكر الزركشي فوائد أسباب النزول [1] منها:

---

[1]-تعريف الدارسين بمناهج المفسرين،الخالدي ، ص415.
[2]-مناهل العرفان ، ج2، ص40.
[3]- المصدر السابق، ج2، ص 50.
[1]-البرهان في علوم القران ، ج1، ص 23،

1- وجه الحكمة الباعثة على التشريع
2- تخصيص الحكم
3- الوقوف على المعنى
4- دفع توهم الحصر

فأسباب النزول تعتبر من القرائن الخارجة عن النص اللغوي التي تبين المراد من الخطاب الشرعي

ويمكن القول أن المفسرين قد اهتموا بالسياق اللغوي، فبينوا دور الصوت والكلمة والتراكيب واهتموا أيضا بسياق الحال من خلال الملابسات المحيطة بالنص كأسباب النزول، ومكان النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وعلم المناسبات كما لكل واحد من العناصر السابق ذكرها من دور في تحديد المراد من النص القرآني.

المطلب الثاني: السياق عند المحدِّثين: اعتنى علماء الحديث بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظا وضبطا وتوضيحا وكشفا لمعانيها، فجعلوا قواعد تضبط مسالك الفهم، وتقي من مزالق الزلل، حيث اهتموا بمختلف الحديث وغريبه، وناسخه ومنسوخه وأسباب وروده، ومن القواعد المهمة التي اعتنى بها المحدثون دلالة السياق في فهم الحديث النبوي، يقول الدكتور فاروق حمادة: " وقد قسّموا تأكيدا لمراعاة السياق في هذا الباب السنة إلى قولية وفعلية، ونظروا بعمق وشمولية.." لقد لفت نظري واسترعى انتباهي طويلا دقة المحدثين في هذا الباب وهم يتعاملون مع السنة النبوية وسياق الخطاب فيها؛ صنيع ابن حبان البستي في صحيحه المسمى " التقاسيم و الأنواع " إذ جعل السنة بين يديه، بل ملء خاطره وعينه، ونظر في كيفية صدورها عن النبي صلى الله عليه وسلم، والسياق الذي جاءت فيه تم قسمها أقساما، وجعل تحت الأقسام أنواعا حتى يسهل منها الاستنباط، وتعرف فيها معاقد الأحكام الشرعية فلا يزلّ قارئها، ولا يخطئ المجتهد فيها، ولا توضع إلا في مواضعها. "[1]

فصنيع الإمام ابن حبان أنه جعل السنة في سياق واحد، فكل المواضيع المتشابهة توضع في سياق واحد، ليسهل على القارئ والمجتهد تتبعها إذ يقول رحمه الله: " فتدبرت الصّحاح لأسهّل حفظها على المتعلمين وأمعنت الفكر فيها لئلا يصعب وعيها على المقتبسين، فرأيتها تنقسم خمسة أقسام متفقة التقسيم غير متنافية:

فأولها: الأوامر التي أمر الله عباده بها.
والثاني: النواهي التي نهى الله عباده عنها.
الثالث: إخباره عما احتيج إلى معرفتها.
الرابع: الإباحات التي أبيح ارتكابها.
الخامس: أفعال النبي صلى الله عليه وسلم التي انفرد بفعلها[2].

"وكان هدفه في ذلك وأمله من صنيعه أن يسهل للفقهاء والمجتهدين عملهم، ويضعهم بالموقع الصحيح لرؤية الحديث حال صدوره من رسول الله صلى الله

[1]-مراعاة السياق واثره في فهم السنة النبوية، د فاروق حمادة ، مجلة الاحياء ، مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء ، المغرب، عدد 26 نوفمبر 2007، ص70.
[2]-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لـ علاء الدين بن بلبان الفارسي ص 102-103.

عليه وسلم، وهذا أمر في غاية الأهمية لم يبلغ أحد من المحدثين والمجتهدين هذا المستوى الشمولي له في النظر للسنة النبوية ما بلغه هذا الإمام الحافظ. "[1]

وفي مراعاة هذه النظرة الشمولية للنص النبوي من طرف المحدثين جمع الروايات بكل الألفاظ التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يؤدي إلى حسن الفهم وجودة الاستنباط.

يقول الحافظ ابن حجر " فكان في جميع الطرق ما يحصل المقصود لكل أحد غالبا"[2]

ويقول علي بن المديني " الباب إذا لم تجمع طرفه لم يتبين خطؤه "[3] وقال الإمام أحمد: "الحديث إذا لم تجمع طرفه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا"[4].

يقول الدكتور فاروق حمادة: " ولجمع الروايات فوائد جليلة جدا في بيان السياق الذي جاء فيه الحديث، منها معرفة المبهم في بعض الروايات ومعرفة الغريب، والشاذ من الروايات وأمور يتأتى بها الحكم على الحديث صحة، وضعفا".[5]

واعتنى المحدثون أيضا بأسباب ورود الحديث والمقصود به تتبع السبب، أو الأسباب التي من أجلها ورد الحديث وتكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم والمهيج والمثير على النطق به، وصدور عنه[6].

فأسباب الورود من أكثر الميادين التي ظهرت فيها العناية بالسياق، ويتصل به اتصالا وثيقا كأسباب النزول وعادات العرب والموروث الثقافي للمخاطبين، وهي

1-مراعاة السياق وأثره في فهم السنة، ص72.
2-فتح الباري 556/10.
3-الجامع لاخلاق الراوي 2/2/2
4-المصدر السابق.
5-مراعاة السياق و أثره في فهم السنة، ص73.
6-أثر السياق وجمع الروايات وأسباب الورود في فهم الحديث ضمن ابحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد و متطلبات التجديد، ج1، ص200.

عناصر مهمة من عناصر سياق المقام المحيطة بالنص والتي تبين الغرض والأسباب التي سبق الكلام لأجلها.

" فمعرفة أسباب الورود تجعل الإنسان مدركا لحقيقة المعنى وأبعاده، ويعاين جزئيات الأسباب ووجه الارتباط بين النص والحكم. "[1]

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " أما السنة فهي تعالج كثيرا من المشكلات الموضعية والجزئية .. وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن، فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص، وما هو عام، وما هو مؤقت وما هو خالد، وما هو جزئي وما هو كلي، فلكل منها حكمه، والنظر إلى السياق والملابسات والأسباب تساعد في سداد الفهم، واستقامته لمن وفقه الله"[2].

وقد حافظ المحدثون على سياق النص الحديثي وصورته التي خرج بها، فنشأ عندهم المسلسل[3] ، "وهو ما تتابع رجال إسناده على صفة أو حالة للرواة تارة وللرواية تارة أخرى، وصفات الرواة إما أقوال وإما أفعال، وأنواع كثيرة غيرهما كمسلسل التشبيك باليد والعد فيها، وكاتفاق اسماء الرواة أو صفاتهم أو نسبهم"[4] .

يقول زين الدين العراقي في ألفيته:

مسلسل الحديث ما توارد ا // فيه الرواة واحدا فواحدا

حالا لهم أو وصف سند // كقول كلهم سمعت فاتحد[5]

لقد اعتنى المحدثون بالتأليف في الحديث المسلسل عناية خاصة، فمنهم من ألف في جزء منه، ومنهم من تناوله بالشرح، وتخريج أحاديثه كعبد الحفيظ الفاسي ومنهم من ألف فيه بصورة عامة.

"والحديث المسلسل عند أهل الفن لا يدل على صحة ولا على ضعف، و إنما يدل على الكيفية التي جاء بها الإسناد من حال أو وصف؛ لذا عده كثير من العلماء من صفات الإسناد بخلاف المرفوع فإنه من صفات المتن؛ إلا أننا إذا نظرنا اليه من جهة نظر تداولية، وجدنا وصف المسلسل في صلته بالسياق مسألة متينة، لأن

---

[1]- أسباب ورود الحديث ، تحليل وتأسيس د محمد سعيد، كتاب الأمة، عدد 37 ، ص102.

[2]-كيف نتعامل مع السنة ، أ د يوسف القرضاوي، ص 125-126.

[3]-انظر أثر السياق في فهم الحديث النبوي عند الحافظ بن حجر ص:99

[4]-تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: للحافظ عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي، 911 هـ،

[5]-متن الفية العراقي –التبصرة والتذكرة ص: 19

تكرار الأفعال، وتماثلها في أحد أنواعه هو في الحقيقة حرص على إعادة إنتاج السياق "[1].

وقد يكون الحديث مسلسلا فعلا وقولا، قال الحاكم: "والنوع الخاص من المسلسل ما حدثني الزبير بن عبد الواحد، حدثني أبو الحسن يوسف بن عبد الأحد القمني الشافعي بمصر قال: حدثني سليم بن شعيب الكسائي، حدثني سعيد الأدم، حدثني شهاب بن خراش الحوبثي قال: سمعت يزيد الرقاشي يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قال: وقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على لحيته فقال: (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) قال: قبض أنس على لحيته فقال آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قال: أخذ يزيد بلحيته فقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، وأخذ شهاب بلحيته فقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قال: وأخذ سليمان بلحيته وقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قال: وأخذ يوسف بلحيته فقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قال: أخذ شيخنا الزبير بلحيته فقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قال لنا الشيخ أبو بكر الشيرازي: قال لنا الحاكم أبو عبد الله: أنا أقول عن نية صادق وعقيدة صحيحة: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وأخذ بلحيته، واخذ الشيخ أبو بكر بلحيته فقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره."[2]

ويمكن القول بأن المسلسل تسجيل لفظي وعملي (سلوكي) للسنة، وهو على قلته إلا أنه يمثل من وجهة نظر تداولية أحد أبرز العلامات على حرص الرواة في نقل النص، بمتعلقاته السياقية من باب الاقتداء أولاً وقبل كل شيء.[1]

كما أنّ السياق كان له دور مهم عند شرّاح كتب الصحيح والسنن في توجيه دلالة الأحاديث، ومثال ذلك:

المثال الأول: الحافظ ابن عبد البر.

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فأهللنا بعمرة ثم قال: من كان معه هدي فليهل بالحج

[1]- السنة النبوية الشريفة و مستويات التمام السياقي مقاربة لسانية تداولية لـ:ادريس مقبول ضمن أبحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد و متطلبات التحديد، ج1، ص 383.

[2]-معرفة علوم الحديث ص:31-32

[1]-انظر السنة النبوية الشريفة و مستويات التمام السياقي مقاربة لسانية تداولية من ضمن ابحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد و متطلبات التحديد، ج1، ، ص 385.

والعمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما، فقدمت مكة وأنا حائض، فلما قضينا حجَّنا أرسلني مع عبد الرحمن إلى التنعيم، ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منىً، وأمَّا الذين جمعوا بين الحج و العمرة فإنما طافوا طوافا واحدا. "[2]

قال أبو عمر: أمّا قولهم إنّ عائشة أرادت بقولها: وأمَّا الذين جمعوا بين الحج والعمرة فإنما طافوا لهما طوافا واحدًا؛ أرادت جمع متعة لا جمع قران، فدعوى لا برهان عليها، و**ظاهر حديث عائشة وسياقه**، يدل على أنّها أرادت قرنوا الحج والعمرة، لأنها فصلت بالواو بين من أهل بحج وبين من أهل بعمرة فتمتع بها، وبين من جمع الحج والعمرة ثم قالت فأما" الذين أهلوا بعمرة، فإنهم طافوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى بحجهم، وأما الذين كانوا أهلوا بالحج أو جمعوا الحج والعمرة، فإنما طافوا لهما طوافا واحدا، ولم تقل: أما الذين أهلوا بعمرة – تعني من تمتع فدل على أنها أرادت من قران. والله أعلم. "[3]

استدل بهذا الحديث الجمهور على أن القارن عليه طواف وسعي واحد، خلافا للأحناف الذين أوّلوا هذا الحديث بأنها أرادت بالجمع هنا جمع متعة لا جمع قران.

وقد رد ابن عبد البر هذا التأويل بدلالة السياق اللغوي وأن التكرار يأباه اللفظ في تقسيم عمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

المثال الثاني: الحافظ بن حجر

بوّب البخاري رحمه الله بابا فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل 5-10] اللهم أعط منفقا مال خلفا. "[1]

قال الحافظ بن حجر " قوله منفقا مال بالإضافة، ولبعضهم " منفقا مالا خلفا، ومالا مفعول منفق بدليل رواية الإضافة، ولولاها احتمل أن يكون مفعول أعطى، والأول أولى من جهة أخرى وهي أن سياق الحديث للحض على إنفاق المال فناسب أن يكون مفعول منفقا، وأما الخلف فإبهامه أولى ليتناول المال والثواب وغيرهما، وكم

[2]-أخرجه الامام مسلم ،كتاب الحج ،باب بيان وجوه الاحرام تحت رقم 2195

[3]-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد البر (463 هـ)) .

[1] –أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب: قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى... (اللهم أعط منفق مال خلفا

من منفق مات قبل أن يقع له الخلف المادي، فيكون خلفه الثواب المعد له في الآخرة، أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك. "[2]
فلقد وظف ابن حجر سياق الحال كعنصر خارج من النص وهو قوله " وهي أن سياق الحديث للحض على إنفاق المال فناسب أن يكون مفعول منفق " بحيث ساعد السياق الخارجي على إعراب وتوجيه الحديث

المثال الثالث: أبو العباس القرطبي

أخرج الإمام مسلم عن عائشة قالت: " دخلت على بريرة فقالت إن أهلي كاتبوني على تسع أواق في تسع سنين، في كل سنة أوقية، فأعينيني فقالت لها: إن شاء أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة

وأعتقك، ويكون الولاء لي فعلت."[1]

قال أبو العباس القرطبي: " وظاهر قولها " أن أهلي كاتبوني على تسع أواق: أنَّ الكتابة قد كانت انعقدت وصَّحت: وأن ذلك ليس لمراوضة على الكتابة: وعند هذا يكون ما وقع من شراء عائشة لها بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا في جواز فسخ الكتابة وبيع المكاتب للعتق، كما صار إليه طائفة من أهل العلم، وأما من لم يجز ذلك وهم الجمهور، فأشكل عليهم الحديث وتحزبوا في تأويله فمنهم من قال: إن الكتابة المذكورة لم تكن انعقدت وأن قولها كاتبت أهلي معناه: أنها راوضتهم عليها، وقدروا مبلغا وأجلها ولم يعقدوها وقد بين أن الظاهر خلافه، بل إذا تؤمل مساق الحديث مع قولها فأعينيني، وجواب عائشة قطع بأنها قد كانت عقدتها، وأن هذا التأويل فاسد. " [2]

وظف أبو العباس القرطبي سياق المقال في الحديث لتعيين المحتمل ورد المعاني البعيدة الفاسدة.

وخلاصة القول أن علماء الحديث على اختلاف مشاربهم كانوا على وعي بالسياق، بنوعيه وقد أفادوا منه في تحديد دلالة الحديث النبوي.

[2]-فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج3، ص 304، 305.
[2]- رواه مسلم في العتق باب إنما الولاء عن لمن أعتق رقم 3852.
[3] المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم أبو العباس القرطبي، ج4، ص 255.

المطلب الثالث: السياق في الدرس اللغوي الحديث (نظرية السياق)

يعد السياق أحد المحاور الرئيسية في علم الدلالة، وقد نسبت نظرية السياق إلى عالم اللغة البريطاني فيرت FIRT، وهي منهج في دراسة المعني لاقى قبولا في الدراسات اللغوية الحديثة، ولقد تعددت المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعني أمثال النظرية التصورية، أو العقلية للفيلسوف جون لوك، والنظرية السلوكية والنظرية... وغيرها.1

وفكرة السياق لم تكن مجهولة قبل فيرت، فقد أدرك علماء اللغة قديما أهمية السياق وتأثيره في المعنى، أما فيرث فقد قام بتطوير مفهوم السياق ليسوق منه نظرية متكاملة، ومنهجا في دراسة المعنى وتحليله وتدرس نظرية السياق اللغة في إطار استعمالها، ومعنى ذلك أن اللغة تدرس من حيث:

1- أنها تفاعلا لغويا لابد فيه من متكلم ومستمع، وإذن لا بد أن يكون هناك موقف لغوي يحدث فيه الكلام وهذا ما يدعى بسياق الحال.

2- أن اللغة تدرس ناجزة، أي كلاما، وما ينتج عنه من ترابط الأصوات فيما بينهما لتوليد الكلمات.

وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي.[2]

وبدأت ملامح النظرية السياقية تتشكل منذ أوائل القرن العشرين مع العالم الانتروبولوجي برونسيلاف ما ليبوفسكي؛ الذي أكد على أن وظيفة اللغة لا تنحصر في كونها وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها أو نقلها، فذلك لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من وظائف اللغة، وهناك وظائف أخرى للغة؛ لا نها نوع من السلوك. "[3]

وأكد على أن اللغة " أسلوب عمل وليس توفيق فكر، وهي نشاط أساسي ولا يمكن فهمها بمعزل عن بقية أنشطة الإنسان الأخرى، وعلى هذا فإن سياق الحال وكافة الظروف المحيطة بالحدث اللغوي هي جزء متمم لهذا الحدث، فاللغة جزء من نشاط اجتماعي متسق، وفي هذه اللحظة التي تفصل فيها الكلمة عن سياق هذا

---

[1] علم الدلالة ، أحمد مختار ، ص

[2]ينظر علم الدلالة، أحمد مختار، ص 68-69.

[3] -علم اللغة ، د محمود السعران ص 309، ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000،

النشاط الذي يغلقها، أو عن سياق الموقف الذي تستخدم فيه تصبح الكلمة جوفاء غير ذات مغزى؛ لأن الألفاظ لا يمكن أن توجد في فراغ. "[1]

كما اهتم العالم اللغوي الفرنسي فندريس بالسياق قبل ظهور نظرية فيرث، وخصوصا سياق المقال، فبين أن الكلمة داخل الاستعمال يكون لها معنى واحد فقط، والذي يعين هذا المعنى هو سياق النص، يقول: " إننا جميعا نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما؛ إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها فتنمحي وتتبدد ولا توجد إطلاقا. "[2]

نظرية فيرث في السياق: يعود ظهور مفهوم السياق على شكل نظرية علمية إلى عالم اللغة الانجليزي فيرت **1960** الذي يعد مؤسس اللسانيات الحديثة في بريطانيا، والذي قام بتطوير هذا المفهوم، حيث أعد نظرية لغوية متكاملة تقدم تصورا مستقلا، وإمكانية علمية للتحديد المعنى، ومنهجا لتحليله.

ولقد استفاد فيرث من جهد ماليبوفسكي فيما يتعلق سياق الموقف، واستفاد منه إفادة كبيرة جدا؛ إلا أن نظرته للسياق كانت مختلفة إلى حد ما، يقول على عزت:" إن كلا من ماليبوفسكي وفيرث يستخدمان هذه النظرية بطريقة مختلفة، ويرجع هذا بالضرورة إلى أن ماليبوفسكي كان عالما انتروبولوجيا أفضت به دراساته للأجناس البشرية إلى اهتمامه العارض باللغة، بينما كان فيرث عالما لغويا مهتما بالثقافة الإنسانية بالدرجة التي تعينه على تكوين نظرية لغوية.[3]

وتتركز دراسة المعنى عند فيرث على ركنين أساسيين لا غنى لأحدهما على الأخر، وهما:

أولا: سياق الحال: ويسمى المقام أو السياق الخارجي، ويمثل الجانب الاجتماعي للغة ويشمل:

- شخصية المتكلم وتكوينه الثقافي والنفسي.

- شخصية المخاطب وتكوينه الثقافي والنفسي.

[1]- دلالة السياق للطلحي، ص185.

[2]-اللغة فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ص228.

[3]- اللغة ونظرية السياق لعلي عزت ، ص23 .

- شخصيات من يشهد الكلام وتحديد دورهم وتأثير حضورهم.

- جميع الظروف المحيطة بالكلام، كالزمان، والمكان، والأحداث المعاصرة.

- أثر الكلام في المتلقين من سخرية، أو تألم، أو تكوين، أو تصديق ونحو ذلك.[1]

ثانيا: سياق المقال

ويسمى السياق اللغوي، أو السياق الداخلي، وقد احتفى فيرث بالعناصر اللغوية المكونة للمنطوقات بما هي موجودة:

1- الوظيفة الصوتية

2- الوظيفة المعجمية

3- الوظيفة الصرفية

4- الوظيفة النحوية

5- الوظيفة الدلالية[2]

[1]-السياق في كتب التفسير وابن كثير نموذجا لـ محمد المهدي، حمامي رفاعي ، ص49.
انظر: أيضا : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران ، ، ص341

[2]- دلالة السياق للطلحي، ص196.

وهكذا فإنه يظهر عناية نظرية السياق بالجانب الاجتماعي للمعنى، بل إنه ليعوض رأي أصحاب هذه النظرية شرطا لاكتمال المعنى الدلالي الأكبر.[1]

وكذلك نجد أن اللغويين المحدثين العرب قد تولد لديهم اهتمام بدراسة السياق، بتأثير واضح من نظرية فيرث لأنهم تلقوا هذا العلم على يديه من أمثال الدكتور تمام حسان وكمال بشر ومحمود السعران واحمد مختار عمر وغيرهم.

ولمعرفة نظراتهم إلى السياق لابد من الرجوع إلى مؤلفاتهم التي اثروا بها المكتبة العربية، فمثلا حسان تمام بين نظرته إلى السياق من خلال مؤلفاته:

1- البحث في اللغة.
2- اللغة العربية مبناها و معناها.
3- مقالات له حول السياق.

حيث قسم الدرس اللغوي إلى سبع مستويات هي: منهج الأصوات، منهج التشكيل الصوتي، منهج الصرف، منهج النحو، منهج المعجم، منهج الدلالة[2].

وربط حسان تمام النحو بمفهوم السياق اللغوي بكونه النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، أما على مستوى الكلمة فقد رأى أن تقسيم الكلام يجب أن يقوم على الأسس التالية: الشكل الإملائي المكتوب، التوزيع الصرفي، الأسس السياقية، المعنى الأعم والمعنى الوظيفي، والاجتماعي "

فهذا التقسيم بين مدى تأثر حسان تمام بالنظرية السياقية بحيث يبرز ارتباط الكلمة بما قبلها وما بعدها على مستوى التراكيب، فالتمييز بين الضمير المنفصل والضمير المتصل في تصريف الأفعال أمر جاد مالم يتدخل السياق، لأن الرسم

[1]-اللغة معناها ومبناها، ص 342.
[2]-اللغة معناها ومبناها ص 4.

المبحث الثالث :أنواع السياق وبنيته

وقد اشتمل على المطالب الثالية :

المطلب الأول :سياق المقال وبنيته

المطلب الثاني :سياق المقام وبنيته

تمهيد : للسياق أنواع متعددة منها السياق المكاني، والسياق الزماني، والسياق الاجتماعي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق المقاصدي، والسياق التاريخي، والسياق اللغوي، وهذه الأنواع كلها تؤول إلى نوعين رئيسيين هما سياق المقال (اللغوي)، وسياق المقام(الموقف).

وهذان النوعان يمثلان الإطار العام للسياق، ويندرج تحتهما كل ضروب السي كما أنهما ليس منفصلين عن بعضهما البعض؛ بل كل منهما متمم ومكمل للآ في الفهم؛ فالاقتصار على السياق المقالي وحده يجعل النص بيئة مغلقة تقتصر على ما تقيده الألفاظ من دلالات ومعان، وسيحرم الباحث من البيئة الخارجية المحيطة بالنّـص، فالاقتصار على سياق المقام وحده يجعل الباحث يحوم حـول النص دون الولوج إليه[1].

[1]- دلالة السياق واثرها في فهم الحديث من خلال تطبيقات الائمة لـ د:عبد المحسن التخيفي ص:276

وممّا يوكد شدة التلاؤم بين نوعي السياق ما قرره الدكتور تمام حسان من أن السياق كالطريق لابد له من معالم توضحه، ولاشك التقسيم وما تبدو فيه من صيغ صرفية، ومن لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جدا في توضيح منحنيات هذا الطريق، ولكن السياق حتى مع وضوح الصيغ واللواصق يظل بحاجة إلى كثير من القرائن الأخرى التي تتضح فيها العلاقات العضوية في السياق بين الكلمات[2] وأن المعنى الدلالي يقوم على دعامتين متداخلتين هما المعنى المقالي والمعنى المقامي[3].

المطلب الأول :سياق المقال وبنيته

أولا :مفهومه: هو السِّياق اللغوي الداخلي؛ الذي يعتمد على عناصر لغوية في النص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة، ويتمثل في الأصوات والكلمات والجمل متتابعة في حدث كلامي معين[1].

كما يمكننا القول أن السياق اللغوي ينتج عن ترابط الأصوات فيما بينها لتوليد الكلمات، والكلمات فيما بينها لتوليد الجمل، والجمل فيما بينها لتشكيل النص.[2]

وكذلك يعرّف السّياق اللغوي بأنه الوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة، أو العبارة في فهم المعنى بالنظر إلى الأسلوب الذي اكتنف العبارة، وبالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام؛ فالأسلوب اللغوي هو جزء من السِّياق العام، لأنّنا نقصد به المعنى النحوي، أو الوظيفي للجملة التي قد تكون لها أكثر من معنى محتمل، وهنا يأتي الأسلوب اللغوي الذي سيق فيه النص فيرفع الاحتمال،

[2]-اللغة العربية مبناها ومعناها ص:134

[3] -المصدر السابق ص:339

[1]-انظر فوزي عيسى ،رانيا عيسى علم الدلالة التطبيقي ص:113

[2]-دلالة السياق واثرها في فهم الحديث من خلال تطبيقات الائمة لـ د:عبد المحسن التخيفي ص:276

ويحدد المعنى المراد مع الاستعانة بباقي القرائن السياقية، فيفهم معنى الكلمة بصورة متكاملة في ظل النص كله.[3]

ثانيا :بنية سياق المقال

إن الأساس في عملية شرح النصوص هو النظر في لغتها؛ فالنص وسيلة لتحقيق التواصل بين طرفين، والخطاب النبوي يمثل كذلك هذا التواصل بين المرسل والمتلقي، ووظيفة الشارح للنصوص النبوية في الأساس هو كشف المعنى والحجب عن المراد من خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والمعرفة بعناصر الخطاب اللغوية صوتا وصرفا ونحوا، قضية تفرضها الغاية ألتي من أجلها انبرى الشارح للنص النبوي، وتلك هي أُولى الخطوات في البحث السياقي.

1-المستوى الصوتي: تعتبر الأصوات هي اللبنة الأساسية للغة، والمظهر المادي لها؛ إذ أنَّ لكل لغة أصواتا محددة تتألف منها، ولكل واحدة سمات تميزها عن غيرها، وقد تناول الفكر الإنساني الظاهرة الصوتية من خلال علم الأصوات اللغوي، وعلم الأصوات الوظيفي. فالأول يتناول الأصوات اللغوية كوحدات صوتية مجردة، ومنعزلة عن السياق الصوتي الذي ترد فيه؛ أما الثاني فهو يدرس وظائف الأصوات في لغة معيّنة، ويحدد العناصر المكونة لنظامها اللغوي، وطرق تناسقها في أشكال بعينها كما يتناول المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم والوقف، والقوانين النى تخضع لها كل واحدة، وكذلك العوامل والنتائج اللغوية المترتبة عن كل منها، فيكون الصوت في سياقه محل الدراسة والاهتمام.[1]

ويهتم التحليل الوظيفي للأصوات بدراسة الفونيم؛ الذي هو أصغر وحدة صوتية ذات طابع صوتي متميز يؤدي استعمالها إلى التفريق في المعنى[2].

ومثال ذلك اسم العلم كمال، وجمال، حيث وقعت كل من الجيم والكاف في نفس السياق الصوتي، وشغلت كلٌّ منها الموقع الأول من الكلمة، وأتت بعدها كل من

[3]- انظر السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث لـ: د ياسر الشمالي ص:195 مجلة دراسات العلوم الشرعية والقانونية الاردن مجلد 3 العدد 1-2011

1-انظر السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والادب الجزائري جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر الاستاذة غنية تومي جامعة معسكر ص:3 ،العدد 6-2010

[2]-انظر دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د عبد الفتاح البركاوي أستاذ علوم اللغة جامعة الازهر ص 80

الميم والكاف واللام، وقد أدى هذا التبادل بين كل منهما أي من الكاف والجيم إلى تغيــير في معني الكلمتين.

وتعتبر الجوانب الصوتية للألفاظ في السلسة الكلامية مهمة، لما لها من دور في تحديد المعنى خصوصا النبر والتنغيم والوقف.

أ-النبر ويعرف بأنّه وضوح سمعي، أو بروز نسبي لفونيم، أو مقطع في الامتداد الخطي للأصوات الملفوظة نتيجة الضغط والارتكاز[3].

ويعرفه تمام حسان بأنَّه:"ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السّمع عن بقية ما حولها من أجزائها".[1]

ومن خلال النَّبر يتحدد معنى الجملة كالاستفهام أو الاستخبار أو الاستهزاء، ويرى تمام حسان أن النبر لا يمنح للجملة معنى وظيفيا؛ إذ لا وظيفة صرفية للنبر في العربية؛ لأنه لا يفرق بين الأسماء والأفعال.

ب- التنغيم "وهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية الإيقاعية في حدث كلامي معين، وهو الإطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق"[2]

ويظهر التنغيم في ارتفاعات وانخفاضات الصوت على مستوى الجملة وهي تؤدي وظيفة نحوية حسبه؛ لأنها تؤدي إلى التفريق بالتنغيم بين الجملة المثبتة، والجملة المنفية، والجملة الاستفهامية.

ومن هنا يتبين أن للتنغيم دورا مهما وعنصرا من عناصر السياق الصوتي بحيث يوجه الإعراب في كثير من الأحيان فمثلا في قول الفرزدق:

كم عمّة لك يا جرير وخالة // فدعاء قد حلبت علي عِشاري [3]

المعنى: يقول: إن لك يا جرير كثيرا من العمات والخالات الفدعاوات قد عملن عندي في حلب نوقي، أو في رعي ماشيتي.

---

[3]"-المصدر السابق 110

[1]-اللغة العربية مبناها ومعناها ص:17

[2]- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين لعبد المنعم خليل ص :47

[3]-المصدر السابق ص :49

الإعراب: تروى "عمة" و"خالة" مرفوعتين ومجرورتين ومنصوبتين. فإن رويتهما مرفوعتين، فيجوز بـ"كم" أن تكون خبرية، أو استفهامية تهكمية في محل نصب مفعول مطلق، أو ظرف زمان متعلق

بـ"حلبت" ومميزها محذوف مجرور إذا قدرت "كم" خبرية، أو منصوب إذا قدرت "كم" استفهامية[1] .

فمثلا كلمة لا يا شيخ ؟ نستطيع ان ننطق بها بعدة نغمات، وهي مع كل نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة فهي مرة لمجرد الاستفهام، وأخرى للتهكم والسخرية، وثالثة للدهشة والاستغراب وهكذا ..[2]

ج -**الوقف**: هو فونيم إضافي، وعنصر من العناصر المميزة للنظام الصوتي للغة، ويقوم بدور إضافي في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلم، وعدم الالتزام به يؤدي الى الخطأ، ومثال ذلك قولك ((من جد وجد، ومن تكاسل..)) ووقفت لفسد المعنى وتلاشى القصد، والصواب هو وصل الجملة بقولك رسب أو فشل عندها يصح الوقف.[3]

2-المستوى الصرفي: وهي دلالة تستمد عن طريق الصيغ وأبنيتها[4]، بحيث تدرس صيغ الكلمات من حيث بناؤها، والتغيرات التي تطرأ عليها من نقص، أو زيادة وأثر ذلك في المعنى؛ فمعرفة تصريف اللفظة وإرجاعها إلى أصلها يعين في بيان الراجح من الأقوال، ورد المرجوح منها فمثلا قول الله تعالى﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن -15]، بمعنى الظالمون الجائرون، وأما قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة - 8] فهو بمعنى العادلين فنلاحظ كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل.

3-المستوى النحوي: يمثل المستوى الثالث في متوالية التحليل اللغوي، ويبحث في العلاقات النحوية بين الكلمات، والتغيرات الطارئة على عناصرها بتقديم أو تأخير، أو حذف أو زيادة، مثل ضرب محمدٌ علياً وضرب عليٌ محمداً؛ فيدرس هذا المستوى دور كل جزء في بناء الجملة، وعلاقتهم ببعضهم البعض، وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية، كما يعنى هذا المستوى بدراسة

---

[1]-شرح الأشمونى لألفية ابن مالك أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي ت(900ه)- ج :1.ص:198

[2]- انظر دلالة الألفاظ لـ: د ابراهيم انيس ص:48

[3]-انظر السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والادب الجزائري جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر الاستاذة غنية تومي جامعة معسكر ص:3 ،العدد 6-2010

[4]-دلالة الالفاظ لـ: د ابراهيم انيس ص:49

التراكيب الصغرى مثل المضاف والمضاف اليه، والنعت والمنعوت، تركيب الفعل مع حروف الجر، أو الظرف.[1]

وقد أشار ابن قتيبة إلى أثر المستوى النحوي في تحديد المعنى عند حديثه عن الإعراب الذي جعله من خصائص اللغة العربية فقال "ولها - يعني العرب - الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحليةً لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب.

ولو أن قائلاً قال: (هذا قاتلٌ أخي) بالتنوين، وقال آخر: (هذا قاتلُ أخي) بالإضافة - لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله."[2]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة)[3] فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام للقرشي ألا يقتل ان ارتد ولا يقتص منه إن قتل، ومن راوه رفعا انصرف التأويل الى الخبر عن قريش أنه لا يرتد عن الإسلام فيستحق القتل، أفما ترى الإعراب كيف فرّق بين هذين المعنيين.[4]

إن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي الصوتي والصرفي والنحوي لا يعطينا الا المعنى الحرفي الضيق أو معنى ظاهر، بحيث هو فارغ عن المحتوى الاجتماعي والثقافي، وقصد المتكلم الذي هو المعنى المقامي المتمم للمعني المقالي.

المطلب الثاني: سياق المقام وبنيته

أولا: مفهومه

ويسمى سياق المقام أيضا بسياق الموقف، أو سياق الحال، أو السياق الخارج عن النص أو السياق الاجتماعي؛ "وهو يمثل البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب، وما بينهما من عرف سائد يحدد مدلولات الكلام، وذلك أن تداول الخطاب يجري

1-انظر العربية وعلم اللغة الحديث لمحمد محمد داوود ص:106

2-تأويل مشكل القران لابن قتيبة ص:15

3-أخرجه مسلم في الجهاد والسير ، باب لا يقتل قرشي صبرا بعد الفتح رقم 1782

4-دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ص :200

في سياق ثقافي واجتماعي، بين المتحدث والمخاطب، وليس لفظا مجردا عن محيطه الذي يجري فيه."[1]

كما يمكننا القول بأنه الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، ويدخل فيه كل ما لَه علاقة بالكلام من ظروف اجتماعية ونفسية وثقافة للمتخاطبين التي يمكن أن تؤثر في الكلام.[2]

ويحوي هذا النوع من السياق ما يعبر عنه عند البلاغيين بالقرينة الحالية أو المقام، ومن هذه الناحية فإن السياق لا يمكن حصره في مصطلح محدد فهو يشمل كل القرائن الخارجية عن التعبير الحرفي للغة من مرجعيات وخلفيات ثقافية، وظروف اجتماعية وظروف الزمان والمكان، وهذه القرائن عموما باعتبارها غير خاضعة للتعبيرات الحرفية للغة لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها جملة؛ لأنها تخضع في كثير من الأحوال لخصوصيات المتخاطبين وتجاربهم الشخصية، وعلى هذا فإنَّ إدراك هذه القرائن يتوقف على الكفاءات الشخصية. [3]

ولذلك نجد المقام في كثير من الآيات القرآنية هو الذي يحدد معنى الآية كأسباب النزول أو فهم الصحابي،فمثلا قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ [البقرة - 220]

يدل ظاهر الآية عن سؤال الصحابة عن مخالطة اليتامى، وكيفية معاملتهم فجاء الجواب بجواز مخالطتهم، لكن هذا ليس معنى ذا بال، ويشعر قارئ النص أن ثمة أمورا وعناصر غائبة تتم هذا النص لا بد لفهمه رفع اللبس والغموض عنه.

ورد في تفسير هذه الآية عند الطبري قال:"...سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ﴾ [البقرة - 220]كانوا في الجاهلية يعظمون شأن اليتيم فلا يمسون من أموالهم شيئا، ولا يركبون لهم دابة ولا يطعمون لهم طعاما، فأصابهم في الإسلام جهد شديد حتى احتاجوا إلى أموال اليتامى فسألوا نبي الله عن شأن

[1]-دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث من خلال تطبيقات الائمة ص:288
[2]-انظر علم الدلالة احمد مختار ص:71
[3]-انظر دلالة السياق ردة الله الطلحي ص :320

اليتامى، وعن مخالطتهم فأنزل الله ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ ﴾ [البقرة - 220]يعني بالمخالطة ركوب الدابة، وخدمة الخادم وشرب اللبن. "[1]

فهذه الملابسات الواردة في سبب نزول الآية هي التي وجهت المعنى، وكشفت عن الدلالة الحقيقية للنص القرآني.

وكان علي رضي الله عنه واعيا بحقيقة المقام ودوره في توضيح الملابسات وقصر الفهم عن المراد عندما رد على هتاف الخوارج ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[يوسف - 40]بقوله:"كلمة حق أريد بها باطل[2] "أي أن الناس اكتفوا بالمعنى الحرفي للنص دون الالتفات إلى المقام الذي قيلت فيه، وهو محاولة إلزام الحجة في شأن سياسي الأصل فيه الشورى بين المسلمين.

[1]- تفسير الطبري ج3 ص: 504

[2]-أخرجه الامام مسلم، في الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج رقم **1066**

ثانيا: بنية سياق المقام

يتكون سياق المقام من بعض الظروف والملابسات التي تكتنف الكلام وتؤثر فيه؛ وهي كالاتي:

1- المتكلم.
2- المخاطب.
3- أسباب الورود.
4- النسخ.

وهذا الفصل بين هذه العناصر هو فصل يستدعيه البحث عن كل عنصر ومقوماته، وإلا فهي متداخلة، وتشكل حلقة متكاملة، فالكلام عن المتكلم يتواءم أحيانا ويتقاطع أحيانا مع عنصر المخاطب مع الفروق طبعا بين المرسل والمتلقي[1].

1- **المتكلم**: يعد المتكلم عنصرا أساسيا في نظرية السياق[2] لأن الباحث في الخطاب لا يستطيع فهمه، وكشف المراد منه دون الإحاطة بمراد المتكلم وغرضه من الكلام؛[3] لأن المتلقي دوما يسأل نفسه ماذا يريد المتكلم ان يقول ؟

يقول الغزالي رحمه الله:" إن حركة المتكلم وأخلاقه وعادته وأفعاله وتغير لونه وتقطيب وجهه وجبينه وحركة رأسه وتقليب عينيه تابع للفظه، بل هي أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوما ضرورية."[4]

فحتى سكوت المتكلم في مناسبات معينة له دلالة خاصة، وذلك "كسكوته صلى الله عليه وسلم عن أمر يشاهده من قول أو فعل ليس معتقدَ كُفر، ولا سبق تحريمه، كالمعاملات التي كان الناس يتعاملون والمآكل والمشارب التي كانوا يتعاطونها، ولم يقع منه نهي عنها ولا نكير على فاعليها، فإنه دليل على جواز ذلك في الشرع لضرورة حاله، فإنه لا يجوز له أن يقر الناس على منكر لأنه داع للخلق إلى

---

[1]- انظر دلالة السياق لردة الله الطلحي ص:601،وانظر أيضا أثر السياق في توجيه الاحاديث عند الحافظ ابن حجر ص:447

[2]- سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة د:أسعد خلف العوادي ص: 139دار الحامد عمان ط1 :2001، 1432

[3]-انظر دلالة السياق لردة الله الطلحي ص:601

[4]- المستصفى 228/1

الحق، وصفه الله بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [1] [الأعراف 157]

-2المخاطب: للمخاطب دور رئيس وشأن بالغ؛ فهو العنصر السياقي الذي يخول للمتكلم استخدام أساليب مختلفة في التعبير، ويسمح له باستخدام أعراف لغوية متعددة مراعاة لحال السامع أو المخاطب الذي ألف هذه الأساليب.

فالمخاطب ليس فقط مستهلكا للنص بل له دور في تشكيله، إذ أن المتكلم يراعي حال المخاطب، وذوقه ومستواه المعرفي، ولقد أدرك نقلة حديث رسول الله هذا الأمر، يقول عليّ رضي الله عنه (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله). [2]

وكان للمخاطب بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة دور مهم في فهم الخطاب والمراد منه، فتفسيره وشرحه مقدم على شرح غيره، وهذا ما وظفه أبو العباس القرطبي رحمه الله ومن ذلك:

أ- ذكر القرطبي عند شرحه لحديث (يمنح أحدكم أرضه خير من أن يأخذ عليها خرَجًا معلومًا)[3]

"وفي هذا الحديث حجة للجمهور وأئمة الفتوى مالك، والشافعي، وأبي حنيفة. وهو مذهب ابن عباس، وابن عمر، ورافع بن خديج على منع كراء الأرض بجزء مما يخرج منها على من أجاز ذلك؛ وهم: الليث بن سعد، وابن أبي ليلى، وسفيان الثوري، والحسن بن علي، والأوزاعي. وهو مذهب علي وعمار، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص. ووجه الاستدلال بذلك: أن هذه كانت مزارعاتهم، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نهى عنها، وبين ما يجوز فعله في الأرض، وهو: أن
يزرعها بنفسه، أو يزرعها غيره، أو يكريها بشيء معلوم مضمون، كما قد بيناه، ولأن ذلك هي المخابرة المنهي عنها، كما تقدَّم ، ولما فيه من الجهالة، والغرر، والخطر، بل قد جاءت نصوص في كتاب أبي داود بتحريم ذلك:

---

[1]-التقرير والتحبير لأبي عبد الله بن امير الحاج ت(879ه) ج:1،ص:135
[2]- أخرجه البخاري في العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا تحت رقم 127
[3]- أخرجه مسلم في البيوع باب الأرض تمنح

فمنها: ما رواه عن زيد بن ثابت قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المخابرة. فقيل له: وما المخابرة ؟ قال: أن تأخذ الأرض بنصف، أو ثلث، أو ربع. وهذا نصٌّ من تفسير الصحابي، وهو أعلم بالحال، وأقعد بالمقال . "[1]
وظف القرطبي فهم الصحابي لمعنى المخابرة في الرد على من منع كراء الأرض مطلقا؛ لأن الصحابي هو المخاطب بحديث رسول الله وهو أعلم بالقرائن وسياق الحال.

ب- ذكر القرطبي عند شرحه لحديث: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)[2]

وقوله: ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) ؛ على تأويلات:

"**أحدها**: أن معناه أنه يستغني به، يقال: تغنّيت، وتغانيت، بمعنى: استغنيت، قاله سفيان.
وثانيها: أن معناه يجعله مكان الغناء، وبدلاً منه، فيستديم تلاوته، ويستطيبه كما يستطيب الغناء.
وثالثها: أن معناه: يجهر به. كما فسّره الصحابي راوي الحديث، وهذا أشبه؛ لأن العرب تسمي كل من رفع صوته ووالى به: غانيًا، وفعله [ذلك] :غناء، وإن لم يلحنه تلحين الغناء، وعلى هذا فسّره الصحابي، وهو أعلم بالمقال، وأقعد بالحال. والله أعلم. "[3]

ولقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم حال السائل فيجيبه بما يفهم، وبما هو الأهم في حقه، والأنفع له، ومثال ذلك:

ذكر القرطبي عند شرحه لحديث (عبد الله بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ رجلا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ .)[1]

[1] -المفهم ج:4 ص:328
[2] -أخرجه البخاري في كتاب فضائل القران ،باب من لم يتعن بالقران
[3] - المفهم ج2 ص:337
1

"وقوله : أَيّ المسلمين وأنفعه في حقِّه؛ فإنَّه صلى الله عليه وسلم كان يجيبُ كلَّ سائلٍ على حسب ما يفهم عنه، وبما هو الأهمُّ في حقِّه والأنفعُ لهي خير، أي: أيُّ خصالهم أفضل؛ بدليل جوابه بقولهِ صلى الله عليه وسلم: تطعم الطَّعام، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ، وكأنَّهِ صلى الله عليه وسلم فَهِمَ عن هذا السائلِ أنَّه يسألُ عن أفضلِ خصالِ المسلمين المتعدِّيَةِ النفعَ إلى الغير، فأجابَهُ بأعمِّ ذلك وأنفعِهِ في حقِّه؛ فإنَّهِ صلى الله عليه وسلم كان يجيبُ كُلَّ سائلٍ على حَسَبِ ما يُفْهَمُ عنه، وبما هو الأهمُّ في حقِّه والأنفعُ له."[1]

وظف القرطبي سياق الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تجيب عن "أي الإسلام خير" وتعدد الجواب منه صلى الله عليه وسلم عن السؤال الواحد ، مراعاة منه لحال السائل والمخاطب بحسب الفهم وبما هو بحاجة إليه.

فالمخاطب والسامع له دور رئيس في فهم الخطاب، وقد وظفه القرطبي في فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3-أسباب الورود:

تعدّ أسباب الورود من الموضوعات المهمة في علوم الحديث؛ فمن الأحاديث ما تكون ابتدائية بغير سبب، ومنها ما يكون بعد سبب، سواء أكان هذا السبب إجابة عن سؤال أو حادثة أو قصة، فيكون قرينة معينة على فهم معنى الحديث وشاهدة على المراد من النص، وإطلاقه وتقييده وتعميمه وتخصيصه، فبمراعاة السياق الذي قيل فيه الحديث والملابسات والظروف التي صاحبت النطق به كلها تعين على فهم المراد من الخطاب.

يقول ابن تيمية: "إن معرفة أسباب الورود يعين الفاهم على فهمه، كمعرفة أسباب النزول للآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".

وقال الإمام الزركشي: وهو من أهم أنواع علم الحديث وانما زل كثير من الرواة ووهموا لما لم يقفوا على ذلك، وقد ردت عائشة رضي الله عنها على الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم بسبب إغفالهم سبب الحديث."[1]

---

[2]-المفهم ج:1 ص:138

[1]-النكت على مقدمة بن الصلاح ج:1،ص:70

أ- تعريفه: عُرِّف أسباب الورود في الاصطلاح بتعاريف كثيرة لعل من أشملها:

أ- الأسباب التي من أجلها ورد الحديث، وتكلم به الرسول صلى اله عليه وسلم والمهيج على النطق به، وصدوره عنه. "[2]

ب- "معرفة ما جرى الحديث في سياق بيان حكمه أيام وقوعه. "[3]

فمعرفة أسباب الورود من العلوم الضرورية التي تجعل الإنسان مدركا وملما بحقيقة المعنى وأبعاده، ويعاين جزئيات الأسباب، ووجه الارتباط بين النص والحكم. "[4]

ب- **فوائد أسباب الورود وعلاقته بالسياق:**

تعتبر أسباب الورود من القرائن السياقية المتممة للفهم، وتوجيه دلالة الحديث "إذ تبين أسباب الورود سوق الكلام، وما تعلق به من معان، فهي شاهدة على مراد النص وعلله في الحقيقة والمجاز، والتوسيع

والتضييق، والإطلاق والتقييد، والتعميم والتخصيص، وهو أمر ضروري لتأسيس الفهم، وإدراك العلاقات القائمة بين الألفاظ والمعاني في النص، ولهذا فإن صيغتي (الأمر) و(النهي) اللتين هما عمدة الخطاب الشرعي لا تنفكان قط عن قرينة من حال الأمر والمأمور به، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأمر الواحد يختلف فهمه بحسب حالين ..كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك ... ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط."[1]

فأسباب الورود تدل على:

[2]-أثر السياق، وجمع الروايات، وأسباب الورود في فهم الحديث لـ: عبد الله الفوزان ص:200

3-علم أسباب ورود الحديث، وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين لــ : د طارق اسعد حليمي ص:24 (2001

[4]- انظر أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس لــ د:محمد سعيد كتاب الامة عدد 37 ص:102

[1]- أثر السياق في توجيه شرح الاحاديث عند الحافظ بن حجر ص:390

1- المعرفة بالعلة الباعثة على تشريع الحكم.

2- تحديد النسخ في الأخبار ومعرفة النص المتقدم من المتأخر، فمعرفة سياق ورود الحديث وملابساته تحدد تاريخ النص، وبذلك يتبين المتأخر ويجري الحكم به.

3- إن معرفة اسباب الورود تعين على تعيين المجمل في النص وتخصيص الحكم اذا ورد النص بصيغة العموم، وتقييده إذا ورد بصيغة الإطلاق، ويعد ذلك من الأمور التي يتوقف عليها صحة الاستنباط ودقة الفهم.

4- المعرفة بأسباب الحديث وسياق وروده تحدد الموقع والجهة التي ينصرف إليها هل هي لجهة الفتيا والتبليغ، أو على جهة القضاء ..2

مما سبق ذكره يتبين مدى أهمية سياق الورود، وأنه عنصر مهم من عناصر سياق الحال؛ الذي لا يمكن الاستغناء عنه في توجيه دلالة النص، وأن إهماله أصاب عملية الاجتهاد والتجديد، أو فقه التنزيل في مقتل، وجعل الكثير من الاجتهادات، هي أقرب للتجريدات النظرية منها الى البصارة والفقه العملي الميداني. والإدراك السياقي أو الحساسية السياقية هي الكفيلة وحدها بأن تنتشلنا من وهدة الوهم، بأن كل حكم يصلح لكل الأحوال، فننزله بإطلاق دون مراعاة الشروط، والظروف، وملابسات الحال.[1]

04- النسخ : يعد النسخ من الظواهر الدالّة على وجود علاقة قويّة بين النصّ والواقع، وهي دالّة أيضا على تفاعل هذا النصّ مع سياقه الثقافي والاجتماعي.

ويرد النسخ في اللغة[2] بمعان:

أ- يأتي بمعنى الإزالة وحلول المزيل محل المزال كقولهم (نسخت الشمس الظل) إذا أزالته وحلت محله.

2- مراعاة السياق وأثره في فهم السنة د: فاروق حمادة ص:70

[1]-انظر السنة النبوية ومستويات التمام السياقي مقاربة لسانية تداولية ص:376

[2]- انظر مناهل العرفان في علوم القران لـ: الزرقاني ح:2 ص:137

ب- أن يكون بمعنى الإزالة مع عدم حلول المزيل محل المزال فكأنه بمعنى المحو كقولهم (نسخت الريح الآثار) إذا أزالتها فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الآثار.

ت- أن يكون بمعنى النقل (نسخت الكتاب) أي نقلت ما فيه إلى كتاب آخر، فهذا لم يغير المنسوخ منه وإنما صار نظيرا له أي نسخة ثانية منه والمعنى الأخير لا يدخل في باب النسخ.

أما اصطلاحا فيعرف النسخ بتعاريف كثيرة منها: "هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي" [3]

يقول الزرقاني رحمه الله: في شرحه للتعريف وقولنا "رفع" جنس في التعريف خرج عنه ما ليس برفع؛ كالتخصيص؛ فإنه لا يرفع الحكم وإنما يقصره على بعض أفراده.

وقولنا: "الحكم الشرعي": قيد أول خرج به ابتداء إيجاب العبادات في الشرع؛ فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة، وذلك كإيجاب الصلاة.

وقولنا: بدليل شرعي: قيد ثانٍ خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي؛ وذلك كسقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته[1].

علاقة النسخ بالسياق: يتفاعل النّص الشرعي مع المخاطبين ويتنزّل بحسب أحوالهم وهذا ما يسمّى بالسياق المقامي أو السياق الثقافي والاجتماعي المحيط بالنّص. ومن خلال الناسخ والمنسوخ يتجمع لدينا نص كامل بجميع عناصره ممثلا في السياق اللغوي والسياق المقامي، لان العلم بالمتأخر من النصوص يساعد في جودة الاستنباط ودقته، ومثال ذلك:

نسخ الوضوء بعد الجماع بدل الغسل:

ورد في الحديث ـ عَنْ أَبِي سعِيد الخدريّ ؛ أنَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ على رجل من الأَنصار، فأَرسل إليه، فخرج ورأسهُ يَقْطُرُ. فقال: (لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ ؟) قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ: (إِذَا أُعْجِلْتَ أَوْ أَقْحَطْتَ، فَلا غُسْلَ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ

[3]- المصدر نفسه ح:2 ص:138

[1]- المصدر نفسه ج:2 ص:139

الْوُضُوءُ).
وفي رواية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ)[2] .

قال القرطبي: "وقوله: ((فلا غسل عليك وعليك الوضوء))، كان هذا الحكم في أول الإسلام ثم نسخ بعد، قاله الترمذي وغيره. وقد أشار إلى ذلك أبو العلاء بن الشخير وأبو إسحاق، قال ابن القصَّار: أجمع التابعون ومن بعدهم بعد خلاف من تقدم على الأخذ بحديث: ((إذا التقى الختانان))؛ وإذا صح الإجماع بعد الخلاف كان مسقطًا للخلاف.

وقوله: ((إنما الماء من الماء))، حمله ابن عباس على أن ذلك في الاحتلام فتأوله، وذهب غيره من الصحابة وغيرهم إلى أن ذلك منسوخ كما تقدم وكما يأتي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:(إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ، وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ)[3] ."[4]

فالمعنى الذي يظهر من الأحاديث الأُولى تبين أن الرجل إذا لم ينزل لا يجب عليه الغسل، وهو معنى متروك لم يبق العمل به بدلالة النسخ بسياق حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبذلك يظهر أن الأحداث المصاحبة للنص ومنها الناسخ والمنسوخ جزء من سياق المقام الذي يوجه دلالة الأحاديث.

---

[2]-أخرجه الامام مسلم في ،كتاب الحيض ،باب إنما الماء من الماء رقم 345-343

[3]- أخرجه الامام مسلم في صحيحه،كتاب الحيض ،باب نسخ إنما الماء من الماء ووجوب الغسل رقم348

[4] المفهم ج:1،ص:448

الفصل الثالث :تطبيقات دلالة السياق عند القرطبي في المفهوم

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول: سياق المقال وأثره في توجيه دلالة الأحاديث عند القرطبي

المبحث الثاني : سياق المقام وأثره في توجيه دلالة الأحاديث عند القرطبي

المبحث الأول:
سياق المقال وأثره في توجيه دلالة الأحاديث عند القرطبي

المطلب الأول: أثر سياق المقال في تطبيق القواعد النحوية

1-الضبط النحوي للمتن الحديثي:

المثال الأول :

نص الحديث:عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها. وأحسنه خَلقا. ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير..)[1]

نص القرطبي: "وقوله: (كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خَلْقًا)؛ الرواية بتوحيد ضمير أحسنه، وبفتح الخاء وسكون اللام من خَلْقًا، فأما توحيد الضمير؛ فقال أبو حاتم: العرب تقول: فلان أجمل الناس وأحسنه؛ يريدون أحسنهم، ولا يتكلمون به، قال: والنحويون يذهبون به إلى أنه أحسن مَن ثمَّة. وأما خَلْقًا فأراد به حُسْن الجسم؛ بدليل قوله بعده: ((ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير)). وأما في حديث أنس[2] ، فروايته بضم الخاء واللام؛ لأنَّه يعني به حسن المعاشرة بدليل سياق ما بعده من الحديث. "[3]

التوضيح : وجّه القرطبي رحمه الله دلالة اللفظة وشكلها في الإعراب" خلقا" بحسب السياق الذي وردت فيه ،ففي حديث البراء وردت بمعنى الصفة الخلقية ،وفي حديث أنس بمعنى الخلق الحسن وهذا التوجيه منه رحمه الله مبني على السّياق اللغوي كما صرح بقوله: بدليل سياق ما بعده من الحديث.

المثال الثاني:

[1]- أخرجه الامام مسلم في كتاب الفضائل، باب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان أحسن الناس وجها رقم (2337)

[2]-أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ،باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا رقم : (2309) **ونصه:(** قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى أمر على صبيان ....)

[3]- المفهم 104/6

نص الحديث عن عائشة رضي الله عنها تقول: (كان يكون على الصوم من رمضان. فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان؛ الشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو برسول الله صلى الله عليه وسلم)[1]

نص القرطبي:" وقولها: (الشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وفي الرواية الثالثة: ((فما نقدر أن نقضيه مع رسول الله))؛ كل هذه الألفاظ محوِّمَةٌ على أن مراعاة حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أزواجه كانت الموجبة لتأخير قضاء رمضان إلى شعبان. ويفيد أن تأخير القضاء إلى شعبان مسوغ، وأن المبادرة به أولى، وأن ذلك التأخير كان عن إذنه صلى الله عليه وسلم وارتفع ((الشغل)) في الرواية الأولى على أنه فاعل بفعل مضمر، دلَّ عليه المساق؛ كأنها قالت: منعني الشغل.

وظاهر مساق الألفاظ: أنها من قول عائشة، وخصوصًا: في الرواية الثالثة، فإن ذلك نصٌّ "[2]

التوضيح: وجه القرطبي إعراب لفظة "الشغل" بدلالة السياق فقوله : "وارتفع (الشغل) في الرواية الأولى على أنه فاعل بفعل مضمر، دلَّ عليه المساق".

وهذا التوجية يوضح أن دلالة السياق حاضرة عند القرطبي في الإحتجاج وإلاّ لما وجه بها تحديد الإعراب.

المثال الثالث

نص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق[1] أو بدابق[2] ، فيخرج إليهم جيش

1- أخرجه الامام مسلم في كتاب الصيام، باب قضاء رمضان في شعبان رقم:(1146)

2- المفهم 162/3

1-الاعماق : جمع عمق وهي كورة قرب دابق بن حلب وانطاكيا ،انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج1،ص:222

من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته.)[3]

نص القرطبي:"وقول الروم: (خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا)، الرواية الصحيحة بفتح السين والباء أي: الذين أصابوا منا سبيا، وقد قيده بعضهم بضم السين والباء، وليس بشيء؛ لأنَّ قول المسلمين في جوابهم: لا والله ما نخلي بينكم وبين إخواننا. يعنون: أنهم منهم في الأنساب والدين، فلو أن الروم طلبوا من سبي منهم لما قالوا لهم ذلك مطلقا. والله تعالى أعلم."[4]

المثال الخامس:

نص الحديث:

عن ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما. إن كان كما قال. وإلا رجعت عليه) .[1]

نص القرطبي: وقوله صلى الله عليه وسلم: أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأخيه: كافر: صوابُ تقييده: كافرٌ بالتنوين، على أن يكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: أنتَ كافر، أو هو

[2]-دابق: بكسر الباء وقد روي بفتحها،واخره قاف قرية قرب حلب من أعمال عزازبينها وبين حلب أربعة فراسخ ،انظر معجم البلدان ليقوت الحموي ج:2،ص:416

[3]- أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم رقم (2897)

[4]-المفهم /191

[1]-أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ،باب حال ايمان من قال لأخيه المسلم ياكافر رقم:(120)

كافرٌ. وربَّما قيَّده بعضهم: كَافِرُ بغير تنوين؛ فجعله منادًى مفردًا محذوفَ حرف النداء. وهذا خطأٌ؛ إذ لا يحذفُ حرفُ النداء مع النكرات ولا مع المبهَمات، إلاَّ فيما جرى مجرى المثل؛ في نحوِ قولهم: أَطْرِقْ كَرَا، وافْتَدِ مخنوقُ، وفي حديث موسى "ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ"، وهو قليلٌ."[2]

2-الكشف على أي شيء يعود الضمير:

أ-عودة الضمير على أقرب مذكور:

المثال الاول

نص الحديث: عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر- وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يجيبونك فإنّها تحيتك، وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله قال: فزادوه ورحمة الله، قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن)[2].[3]

نص القرطبي: "وقوله: (خلق الله آدم على صورته) هذا الضمير عائد على أقرب مذكور، وهو آدم، وهو أعثم، وهذا الأصل في عود الضمائر، ومعنى ذلك: أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالا، ولا تردد في الأرحام أطوارأ ؟ إذ لم يخلفه صغيرا فكبر، ولا ضعيفا فقوي، بل خلقه رجلا كاملا سويا تويا، بخلاف سنة الله في ولده، ويصح أن يكون معناه للأخبار عن أن الله تعالى خلقه يوم خلقه على الصورة التي كان عليها بالأرض، وأنه لم يكن في الجنة على صور ؟ أخرى، ولا اختلفت صفاته، ولا صورته، كما تختلف صور الملائكة والجن، والله تعالى أعلم".[1]

المثال الثاني:

---

[2]- المفهم 162/1

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،باب يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل افئدة الطير رقم (2841):

[1]- المفهم 151/7

- **نص الحديث**: عن ابن عباس. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فتح مكة (لا هجرة، ولكن جهاد ونية. وإذا استنفرتم فانفروا)، وقال يوم الفتح فتح مكة:(إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي. ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرفها، ولا يختلي خلاها) فقال العباس: يا رسول الله ! إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال (إلا الإذخر) .[2]

نص القرطبي:" وقوله: (ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرامٌ)؛ الضمير في (يحل) هو، وهو يعودُ على القتال قطعًا، كما يدل عليه مساقه، فيلزم منه تحريم القتال فيه مطلقًا، سواء كان ساكنه مستحقًّا للقتال أو لم يكن. وهو الذي يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: (ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار)".[3]

[2]-أخرجه مسلم في كتاب الحج ،باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها ؛إلا لمنشد على الدوام ، رقم:(1353)

[3]- المفهم 378/3

المثال الثالث:

نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا من صاحب ذهبٍ ولا فضَّة لا يؤدّي منها حقَّها إلا إذا كان يوم القيامة صفّحت له صفائح من نار، فأُحمي عليها فِي نار جهنّم فيكوى بِها جنبه، وجبينه وظهره، كُلّما بردت أعيدت لهُ فِي يومٍ كان مقداره خمسين أَلفَ سنة، حتّى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إمَّا إِلى الجنَة وَإمَّا إِلى النَّار)[1].

نص القرطبي: "قوله: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها) ؛ كذا صحت الرواية بهاء التأنيث المفردة، وظاهره أنه عائدٌ على الفضة، فإنه أقرب مذكور، وهي مؤنثة، وحينئذ يبقى ذكر الذهب ضائعًا وقد حمل هذا على الاكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر، كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

وقال الآخر:

لكل همٍّ من الهموم سعة // والصبح والمساء لا بقاء معه

وقيل: أعادها على معنى الكلمات المتقدمة، وكأنه قال: لا يؤدي من تلك الأمور المذكورات حقَّها. وأشبه من هذه الأوجه أن يقال: إن الذهب والفضة يقال عليهما: عينٌ لغةً، فأعاد الضمير عليها وهي مؤنثة. والله أعلم."[2]

المثال الرابع:

نص الحديث: عن أنس بن مالك، أن جدته مليكة، دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فأصلي لكم»، قال أنس بن مالك فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس، فنضحته بماء، فقام عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصففت أنا، واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم انصرف."[3]

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة رقم:(987)

[2]- المفهم 19/3

[3]- أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب، وغيرها من الطاهرات ،رقم:(658)

نص القرطبي:" الضمير في قوله: (إن جدته مليكة) عائد على إسحاق بن عبد الله[1] ، وهي أم أبيه: عبد الله بن أبي طلحة. ومالك هو القائل: (أن جدته)، قال أبو عمر، وغلّط غيرُه هذا القول، وقال: بل مليكة جدة أنس أم أمه، وعليه يعود الضمير، وهو القائل: (أنّ جدته). "[2]

ب- عودة الضمير على أكثر من مذكور:

نص الحديث: عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير، لاستبقوا إليه. ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبوا."[3]

نص القرطبي: وهذا الضمير الذي (في): " عليه " اختلف فيه على ماذا يعود، فقال أبو عمر بن عبد البر: إنه يعود على الصف الأول، وهو أقرب مذكور. قال: وهذا وجه الكلام. وقيل: إنه يعود على معنى الكلام المتقدم؛ فإنه مذكور ومَقُول، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان-68]؛ أي: ومن يفعل المذكور قبلُ، وهذا أولى من الأول؛ لأنه إن رجع إلى الصف بقي النداء ضائعًا لا فائدة له[4].

ج- عودة الضمير على غير مذكور

المثال الأول:

---

[1]- اسحاق بن عبد الله ابن صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي طلحة زيد بن سهل ، الأنصاري ، الخزرجي النجاري ، المدني ، الفقيه ، أحد الثقات . سمع من عمه ، أنس بن مالك ، وأبي مرة مولى عقيل وعنه : عكرمة بن عمار ، وهمام بن يحيى ، ومالك ، وكان مالك يثني عليه ، ولا يقدم عليه أحدا مات إسحاق سنة اثنتين وثلاثين وقيل : سنة أربع وثلاثين ومائة روى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي ج:2 ص:444،وانظر أيضا سير اعلام النبلاء للذهبي ج6ص:34

[2]-ا لمفهم 228/2

[3]-أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ،باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام ، رقم:(437)

[4]-المفهم 51/1

نص الحديث: عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "خير نسائها مريم بنت عمران. وخير نسائها خديجة بنت خويلد."[1]

نص القرطبي: وقوله: (خير نسائها: مريم ابنة عمران)؛ هذا الضمير عائد على غير مذكور؛ لكنه تفسره الحال والمشاهدة؛ يعني به: الدنيا، وفي رواية: وأشار وكيع إلى السماء والأرض - يريد الدُّنيا - كأنه يفسر ذلك" الضمير."[2]

المثال الثاني:

نص الحديث: عن سلمة بن الأكوع قال "... فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا قال: ما لك ؟ قلت له فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرا حبط عمله قال: من قاله ؟ قلت فلان وفلان وأسيد بن حضير الأنصاري، فقال: كذب من قاله إن له لأجرين وجمع بين إصبعيه؛ إنه لجاهد مجاهد قلّ عربي مشى بها مثله. "[3]

نص القرطبي: قال " والضمير في (بها) عائد على الأرض، وقيل: على الحرب قلت: ويحتمل أن يعود على الشهادة والحالة الحسنة التي مضى بها إلى الله تعالى. وهذا يعضده المعنى، ومساق الكلام. والله تعالى أعلم." [4]

د- عودة الضمير على أبعد مذكور:

نص الحديث: عن عبدالرحمن بن عبد القاري؛ قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول:

سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها. فكدت أن أعجل عليه. ثم أمهلته حتى انصرف. ثم لببته بردائه. فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله! إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرسله. اقرأ القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هكذا أنزلت" ثم قال لي "اقرأ" فقرأت. فقال "هكذا أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[1]

---

[1]-أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ،باب باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رضي الله تعالى عنها، ترقم:(2430)

[2]-المفهم 353/6

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير kباب غزوة خيبر ، رقم:(1802)

[4]- المفهم 528/3

[1]- أخرجه الامام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه رقم:(818)

نص القرطبي: "وقوله: (فاقرؤوا ما تيسر منه) ، الضّمير في: (منه) عائد على القرآن، لا على الأحرف؛ إذ لو كان عائدًا على الأحرف؛ لقال: (منها)، وإنما أعاده على القرآن؛ ليبيّن أنه يجوز أن يقرأ بما تيسَّر من الأحرف، ومن القرآن؛ لأنه إذا أباح الاقتصار على قراءة بعض القرآن، فلأن يجوز الاقتصار على بعض الأحرف أولى. "[2]

[2]- المفهم 361/2

المطلب الثاني: أثر السياق في توجيه دلالة النكرة

النكرة لغة: **قال ابن منظور**: (النكرة: إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة.. ونكر الأمر نكيراً، وأنكره إنكاراً ونكراً: جهله)[1]

اصطلاحا: هو" الاسم المنكّر هو الواقع على كلِّ شيء من أمته، لا يخصّ واحداً من الجنس دون سائره، نحو: رجل وفرس وحائط وأرض."[2]

للتنكير في اللغة اغراض أهمها:[3]

1- لغرض الواحد كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [يس-20]

2- لغرض الجنس كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ﴾[النور -45]

3- لغرض التهويل أو التعظيم كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[البقرة-48]

4- لغرض التقليل او التكثير كقوله تعالى ﴿ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ﴾[الأحقاف-35] وللتكثير كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾[ن -3] ؛أي كثيرا غير مقطوع .

5-لغرض التحقير كقوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾[البقرة الآية96]

6-لغرض التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود -103]

7- لغرض التجاهل كقول الله تعالى: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾[سبأ -7]

وإرادة كل معنى من هذه المعاني يدّل عليه السياق الذي وردت فيه، وقد وظف القرطبي السياق لمعرفة الغرض من النكرة، ومن أمثلة ذلك:

أولا: الجنس:

أ- ورد في قول تعالى ﴿ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[التحريم-4]

1- لسان العرب): 352/14

2- المقتضب 4|276.

3- انظر معاني النحو لـ: د فاضل صالح السامرائي ج:1 ص37-38.دار الفكر للنشر والتوزيع ط:1(1420-2000) عمان الاردن

قال القرطبي:" و{ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ }؛ أحسن ما قيل فيه: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، ومن جرى مجراهما من سبق إسلامه، وظهر غناه. وقيل: كان حق {صالح }، أن يكتب بالواو، ولكنهم حذفوها، ليوافق الخطُّ اللفظ. ويحتمل أن يقال: { صالح } مفرد، لكنه سُلِك به مسلك الجنس. والله أعلم."[1]

ثانيا: للتعظيم والتفخيم:

أ- ورد في حديث قصه موسى مع الخضر عن سعيد بن جبير (....قال: موسى. قال: ومن موسى؟ قال: موسى بني إسرائيل. قال: مجيء ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشدا. قال: إنك على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه،وأنا على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه .)[2]

قال القرطبي:" وقوله: (مجيء ما جاء بك)؛ قيَّدها ابن ماهان[3] بالهمز والتنوين، وعلى هذا تكون (ما) نكرة صفة لمجيء، وهي التي تكون للتفخيم والتعظيم، كقولهم: لأمر ما يسوَّدَ من يسوَّدَ ، ولأمر ما تدرَّعت الدروع، فيكون معناه: مجيءٌ عظيمٌ، وأمرٌ مهمٌ حملك على أن تركت ما كنت عليه من أمر بني إسرائيل، واقتحمت الأسفار، وقطعَ المفاوز والقفار."[4]

ثالثا: النكرة في سياق النفي تعم

قال الإسنوي: "النكرة في سياق النفي تعم، سواء باشرها النافي نحو: "ما أحد قائمًا"، أو باشرها عاملها نحو: "ما قام أحد".. وما عدا ذلك نحو: "لا رجل قائمًا" بنصب الخبر، و "ما في الدار رجل"، فالصحيح أنها للعموم أيضًا، لكنها ظاهرة في العموم لا نص فيه. [5]

وهو مذهب سيبويه، ونقل ذلك من الأصوليين إمام الحرمين في "البرهان" أثناء كلامه عن معاني الحروف فقال: "قال سيبويه: إذا قلت: "ما جاءني رجل" فاللفظ عام، ولكن يحتمل أن يؤوّل فيقال: ما جاءني رجل بل رجلان أو رجال، فإذا قلت: "ما جاءني من رجل" اقتضى نفي جنس الرجال على العموم من غير تأويل"[1].

---

[1]- المفهم 201/4

[2]- أخرجه الامام مسلم في كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام رقم :2380

[3]-عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن ماهان ، أبو العلاء البغدادي ثم المصري روى عنه أحمد بن فتح وحدث بمصر بصحيح مسلم عن أبي بكر أحمد بن محمد الأشقر، وثقه الدارقطني، مات سنة ثمانية وثمانين وثلاث مائة ،أنظر حسن المحاضرة للسيوطي، وسير اعلام النبلاء 535/16

[4]-المفهم 162/6

[5]- الكوكب الدري 288.

[1]- البرهان 143/1

وقال القرطبي في تقرير هذه القاعدة: "وفي هذا الحديثِ: ما يدلُّ على أنَّ النكرةَ في سياق النفي تَعُمُّ؛ لأنَّ الصحابة رضى الله عنهم ـ فَهِمَتْ من ذلك العمومِ كُلَّ ظلم، وأقرَّهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم على ذلك الفَهْمِ. "[2]

وقد وظفها القرطبي للدلالة على العموم ومن أمثلة ذلك:

أ- ورد في الحديث عن عبدالله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لا يحل لامرأة، تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة ثلاث ليال، إلا ومعها ذو محرم. "[3]

قال القرطبي وقوله:" ((لا يحل لامرأة))؛ هو على العموم لجميع المؤمنات؛ لأن امرأة نكرة في سياق النفي، فتدخل فيها الشابة، والمتجالَّة، وهو قول الكافة، وقال بعض أصحابنا: تخرج منه المتجالَّة ؟ إذ حالها كحال الرجل في كثير من أمورها. وفيه بُعد؛ لأن الخلوة بها تحرم، وما لا يطلع عليه من جسدها غالبًا عورة، فالمظنة موجودة فيها. والعموم صالح لها، فينبغي ألا تخرج منه. والله تعالى أعلم. "[4]

ب- ورد في الحديث عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل)[5].

قال القرطبي: "وقوله: (لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها)؛ يدخل فيه بحكم عمومه نفس الذمِّي، والمعاهد إذا قتلا ظلمًا؛ لأنَّ (نفسًا) نكرة في سياق النفي، فهي للعموم."[1]

ج- **بوب مسلم بابا سماه :باب** لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة إلا ان تكون الصورة رقما

قال القرطبي: "ومن باب قوله: (لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة)، الملائكة هنا- وإن كان عمومًا ـ فالمراد به الخصوص، فإنَّ الحفظة ملازمة للإنسان، هكذا قاله بعض علمائنا، والظاهر العموم، والمخصص ليس نصًّا. وكذلك قوله: كلب، وصورة ؛ كلاهما للعموم؛ لأنَّهما نكرتان في سياق النفي. وقد ذهب

---

[2]-المفهم 229/1

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره رقم :1338

[4]- المفهم356/3

[5]-أخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل رقم: 1677

[1]- المفهم31/5

بعض العلماء إلى أن المراد به: الكلاب التي لم يؤذن في اتخاذها، فيستثنى من ذلك: كلب الصيد، والماشية والزرع. وأما الصورة: فيراد بها التماثيل من ذوات الأرواح. ويستثنى من ذلك الصورة المرقومة، كما نصَّ عليه في الحديث، على ما يأتي."[2]

رابعا: النكرة في سياق الشرط تعم:

ورد عن أبي هريرة. قال: لما نزلت: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [النساء -123] بلغت من المسلمين مبلغا شديدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها."[3]

قال مسلم: هو عمر بن عبدالرحمن بن محيصن، من أهل مكة.

قال القرطبي: وقوله لما نزلت: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [النساء -123] بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، هذا يدل على أنهم كانوا يتمسكون بالعموميات في العلميات كما كانوا يتمسكون بها في العمليات. وفيه رد على من توقف في ألفاظ العموم من الفاظه، وكذلك النكرة في سياق الشرط فإنهم فهموا عموم الأشخاص من وعموم الأفعال السيئة في سياق الشرط."[1]

[2]-المفهم335/5

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر و الصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها ت رقم: 4791

[1]-المفهم444/6

المطلب الثالث: أثر السياق في تحديد الدلالة :

المثال الأول:

نص الحديث: عن أبي هريرة؛ أنه كان يقول: (بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين، فمن لم يأت الدعوة، فقد عصى الله ورسوله).

وفي رواية: (شر الطعام طعام الوليمة).

وعن أبي هريرة أيضا؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((شر الطعام طعام الوليمة، يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة، فقد عصى الله ورسوله)).[1]

نص القرطبي: "وقوله: (بئس الطعام طعام الوليمة)، وفي رواية أخرى: (شرُّ الطعام) بدل (بئس) .. وقد بيّن في سياق الحديث أنَّ الجهة التي يكون فيها طعام الوليمة شرُّ الطعام: إنما هي ترك الأَولى، وذلك: أن الفقير هو المحتاج للطعام؛ الذي إن دُعي سارعَ وبادرَ، ومع ذلك فلا يُدْعَى، والغنيُّ غير محتاج، ولذلك قد لا يجيب، أو تثقل عليه الإجابة، ومع ذلك فهو يدعى، فكان العكس أولى. وهو: أن يُدعى الفقير، ويُترك الغني، ولا يُفهم من هذا القول أعني: الحديث: تحريم ذلك الفعل؛ لأنه لا يقول أحد بتحريم إجابة الدعاء للوليمة فيما علمته؛ وإنما هذا مثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم: (شرُّ صفوف الرِّجال آخرها، وخيرها أولها، وشرُّ صفوف النساء أولها، وخيرها آخرها)[2] ، فإنَّه لم يقل أحد: إن صلاة الرجل في آخر صف حرام، ولا صلاة النساء في أول صف حرام، وإنَّما ذلك من باب ترك الأولى، كما قد يقال عليه: مكروه، وإن لم يكن مطلوب الترك، على ما يُعْرَف في الأصول. فإذًا الشرُّ المذكور هنا: قلَّة الثواب والأجر، والخير: كثرة الثواب والأجر، ولذلك كره العلماء اختصاص الأغنياء بالدَّعوة).[3]

التوضيح: صرح القرطبي رحمه الله بان السياق هو الذي يوجه دلالة الالفاظ إذا تجاذبها الايجاب والندب أو الحرمة والكراهة اذ يقول :" .. وقد بيّن في سياق الحديث أنَّ الجهة التي يكون فيها طعام الوليمة شرُّ الطعام: إنما هي ترك الأَولى"،فشر الطعام يصرف الى ترك الاولى وليس حرمة الطعام

المثال الثاني:

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب الامر بإجابة الداعي الى الدعوة رقم:1432

[2]- أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف واقامتهاوفضل الاول منها رقم 132

[3]- المفهم 122/4

نص الحديث: عن نبيشة الهذلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام التشريق أيام أكل وشرب، وزاد في رواية (ذكر الله)[1].

نص القرطبي: "وقوله: (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله)؛ **هذا المساق** يدل على أن صومهما ليس محرمًا؛ كصوم يومي العيدين؛ إذ لم ينه عنها كما نهى عن صوم يوم العيدين، ولذلك قال بجواز صومها مطلقًا بعض السَّلف، ومع أبو حنيفة صومها حتى للمتمتع الذي لا يجد الهدي، وروي عن الشافعي مثل ذلك، وأجاز مالك والشافعي - في أشهر قوليه- والأوزاعي صومها للمتمتع خاصة، وهو الصحيح؛ لما رواه البخاري عن عائشة، وابن عمر: أنهما قالا[2] : (لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الـهدي)"[3].

المثال الثالث:

عن أبي هريرة، قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة. فمر على جبل يقال له جمدان. فقال (سيروا هذا جمدان، سبق المفردون) قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله! قال ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[الاحزاب-35].[4]

نص القرطبي: "وقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾" هذه الكثرة المذكورة هنا هي المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 41] ، **وهذا المساق يدلّ** على أن هذا الذكر الكثير واجب، ولذلك لم يكتف بالأمر حتى أكده بالمصدر، ولم يكتف بالمصدر حتى أكده بالصفة، ومثل هذا لا يكون في المندوب، وظهر أنه ذكر كثير واجب، ولا يقول أحد بوجوب الذكر باللسان دائما، وعلى كل حال، كما هو ظاهر هذا الأمر، فتعين أن يكون ذكر القلب، كما قاله مجاهد. وقال ابن عباس - رضي الهه عنهما- (ليس شيء فى من الفرائض إلا وله حال! ينتهي إليه إلا ذكر الله) ولم يقل هو ولا غيره - فيما علمناه - أن ذكر الله باللسان يجب على الدوام، فلزم أنه ذكر القلب".[1]

---

[1]- رواه مسلم في كتاب الصيام باب تحريم صيام أيام التشريق رقم :1141

[2]-رواه البخاري كتاب الصيام تحت رقم 1998

[3]- المفهم156/3

[4]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى رقم 4840:

[1]- المفهم 7/7

المطلب الرابع: أثر سياق المقال في تحديد النسخ

نص الحديث: (عن عبدالله؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتما من ذهب، فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه، فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه. فقال (إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل) فرمى به، ثم قال (والله! لا ألبسه أبدا) فنبذ الناس خواتيمهم)[1]

نص القرطبي: "اصطناع النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الذهب ولبسه إياه كان ذلك قبل التحريم، فهو من باب النسخ، كما يدل عليه مساق الحديث، وهو مجمع على تحريمه للرجال، إلا ما روي عن أبي بكر بن عبدالرحمن، وخبَّاب، وهو خلاف شاذٌّ مردودٌ بالنصوص، وكل منهما لم يبلغهما التحريم. والله تعالى أعلم ".[2]

المطلب الخامس : أثر دلالة سياق المقال في فقه النص

1-جودة الاستنباط:

المثال الأول:

نص الحديث: عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منه

[1]- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب اللباس والزينة ،باب في طرح خاتم الذهب رقم :2091

[2]- المفهم 325/5

طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا. وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) [1]

نص القرطبي: وقوله: (وأصاب طائفة أخرى)؛ هذا مثل للطائفة الثالثة التي بلغها الشرع فلم تؤمن، ولم تقبل، وشبهها بالقيعان، السَّبخة التي لا تقبل الماء في نفسها وتفسده على غيرها، فلا يكون منها إنبات، ولا يحصل بما حصل فيها نفع و(القيعان) جمع قاع، وهو ما انخفض من الأرض، وهو المستنقع أيضًا. وهذا يعم ما يفسد فيه الماء، وما لا يفسد، لكن مقصود الحديث: ما يفسد فيه الماء." [2]

التوضيـــــــــح : "قوله :لكن مقصود الحديث مايفسد فيه الماء اشارة الى ان لفظ القيعان عام وفيه احتمال ففسره سياق الحديثوان المقصود به مايقابل الظائفة الثانية الاجادب وهي السبخة التي نفسد الماء " [3]

المثال الثاني:

نص الحديث: عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على كل حر أو عبد، ذكر أو أنثى من المسلمين وعنه أيضا: قال:"فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير على كل عبد أو حر، صغير أو كبير" [1] .

نص القرطبي:"وقوله: (من المسلمين)؛ دليل على أنها لا تخرج عن العبد الكافر، وهو قول الجمهور، وذهب الكوفيون وإسحاق وبعض السلف: إلى أنها تخرج عن العبيد الكفار، وقد تأول الطحاوي قوله: (من المسلمين): أنه عائدٌ إلى السادة

---

[1]-أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب مثل مابعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم رقم: 2282

[2]- المفهم 65/6

[3]-انظر السياق وتطبيقات الاستدلال به لفاطمة قاسم مجلة المعيار العدد 39 ص 169

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمينت رقم: 1504

المخرجين، وهذا لا يقتضيه مساق الحديث، فتأمله، قلت: ظاهر هذا الحديث: أنه إنما قصد فيه إلى بيان مقدارها، ومن يقدر عليه، ولم يتعرض فيه لبيان من يخرجها عن نفسه ممن يخرجها عن غيره، بل شمل الجميع؛ إذ قد ذكر فيهم العبد والصغير "[2]

المثال الثالث:

نص الحديث: عن ابن عباس قال :"كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته، ثم فرق بعد."[3]

نص القرطبي:" وقوله : (كان أهل الكتاب يَسْدلون أشعارهم ، وكان المشركون يَفْرُقُون رؤوسهم) ؛ قال القاضي: سدل الشعر: إرساله ، والمراد به هنا عند العلماء إرساله على الجبين واتخاذه كالقَصَّة، يقال: سدل شعره وثوبه إذا أرسله ولم يضم جوانبه، والفرق: تفريق الشعر بعضه عن بعض، والفرق : تفريقك بين كل شيئين، قال الحربي[4] : والمفرق: موضع الفرق، والفرق في الشعر سُنَّة؛ لأنَّه الذي رجع إليه النبي صلى الله عليه وسلم. والظاهر أنه بوحي، لقول أنس: (أنه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء) ؛ فسدل، ثم فرق بَعْدُ، فظاهره: أنه لأمر من الله تعالى، حتى جعله بعضهم نسخًا، وعلى هذا لا يجوز السَّدل، ولا اتِّخاذ الناصية والْجُمَّة ... قلت: وفيما قاله القاضي رحمه الله وحكاه نظر، بل: **الظاهر من مساق الحديث** أن السَّدل إنما كان يفعله لأجل محبته استئلاف أهل الكتاب بموافقتهم، لكنه كان يوافقهم فيما لم يشرع له فيه، فلما استمروا على عنادهم، ولم ينتفعوا بالموافقة، أحبَّ مخالفتهم أيضًا فيما لم يشرع له، فصارت مخالفتهم محبوبة له لا واجبة عليه كما كانت موافقتهم."[1]

2- استبعاد التأويلات الغريبة والرد على المخالف:

المثال الأول:

---

[2]-المفهم16/3

[3] أخرجه الامام مسلم في كتاب الفضائل باب في سدل النبي صلى الله عليه وسلم شعره وفرق ، رقم: 2336

[4]- إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبدالله بن ديسم الحربي، وكنيته أبو إسحاق.ونسبة الحربي إلى مَحَلَّة ببغداد كبيرة مشهورة تقع غرب بغداد، له من المصنفات غريب الحديث والآثار، دلائل النبوة توفي سنة 285هـ ،انظر تاريخ بغداد6/ 27، وطبقات الحنابلة 1/ 218، وإنباه الرواة (1/ 190)، وسير أعلام النبلاء 13/ 356

[1]-المفهم 100/6

نص الحديث:" أن يعلى كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليتني أرى نبي الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه. فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة. وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به عليه، معه ناس من أصحابه، فيهم عمر إذ جاءه رجل عليه جبة صوف، متضمخ بطيب، فقال: يا رسول ! كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم سكت، فجاءه الوحي، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية: تعال، فجاء يعلى، فأدخل رأسه، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه، يغط ساعة، ثم سري عنه، فقال: " أين الذي سألني عن العمرة آنفا ؟" فالتمس الرجل، فجيء به. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أما الطيب الذي بك، فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة، فانزعها، ثم اصنع في عمرتك، ما تصنع في حجك. "[2]

نص القرطبي: وقوله: ((أما الطيب فاغسله))؛ دليل على منع الْمُحْرِم من استعمال الطيب في جسده، ووجهة هذا المنع أن الطيب داعية من دواعي النكاح - على ما قدمناه -، ولا خلاف في منعه من اطيب بعد تلبسه بالإحرام، واختلف في استعماله قبل الإحرام، واستدامته بعد الإحرام: فمنعه مالك تمسّكًا بهذا الحديث، وأجاز ذلك الشافعي تمسكًا بحديث عائشة؛ قالت: كنت أطيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم. وفي أخرى: كأني أنظر إلى وبيض الطيب في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم واعتذر عن الحديث الأول بأن قال: إنما أمره بغسل ما عليه منه؛ لأن ذلك الطيب كان زعفرانًا، وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم الرَّجل عن التَّزَعفُر، وإن لم يكن مُحْرِمًا. وهذا التأويل يأباه مساق الحديث، فتأمله". [1]

التوضيح: دلالة السياق رد بها القرطبي فهم امام من ائمة الحديث ووجه بها الحديث بما يوافق هذه الدلالة لحجيتها عنده.

المثال الثاني:

[2]-أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم رقم : 1180

[1]-المفهم203/3

نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى؟ ثلاثا أم أربعا؟ فليطرح الشك وليبين على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسا، شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماما لأربع، كانت ترغيما للشيطان. "[2]

نص القرطبي: "وقوله: (فسجد سجدتين قبل السلام، ثم سلم) حجة لمالك في قوله: إن السجود للنقص قبل، وعلى أبي حنيفة في قوله: إن السجود في السهو كله بَعْدُ ، وحَمْلُ أبي حنيفة هذا السلام على سلام التشهد فاسد قطعًا بمساق الحديث، فتأمله"[3] .

المثال الثالث:

نص الحديث: عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال (إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟) قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض) [1]

نص القرطبي: "وقوله: (ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض)، وفي رواية السمرقندي: (فتحملون)، قال بعضهم: لعل أصول هذا الكلام: "ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين ". قال القاضي: لا أدري ما الذي حمل هذا على تفسير الرواية مع عدم توجيه الكلام على ما قبله، واستقلاله بالمراد، لاسيما مع قوله بعد هذا: (فتحملون بعضهم على رقاب بعض). والأشبه: أن يكون الكلام على وجهه، وأراد أنَّ مساكين المهاجرين، وضعفتهم ستفتح عليهم إذ ذاك الدنيا، حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض. قلت: والعجب من إنكار القاضي على هذا المتأول، واختياره هذا المعنى الذي لا يقبله **مساق الحديث**، ولا يشهد له معناه، وذلك أن معنى الحديث: أنه أخبرهم أنهم ستتغير بهم الحال، وأنهم يصدر عنهم، أو عن بعضهم أحوال غير مرضية، تخالف حالهم التي كانوا عليها

[2]-أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له

[3]-المفهم 146/2

[1]-أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب مايحذر من بسط الدنيا ومن التنافس رقم :2962

معه من التنافس والتباغض، وانطلاقهم في مساكين المهاجرين، فلا بد أن يكون هذا الوصف غير مرضي كالأوصاف التي قبله، وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجبه، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره، ولا يصح ذلك إلا بذلك التقدير الذى أنكر القاضي، فيكون معنى الحديث أنه إذا وقع التنافس، والتحاسد، والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القوي ما أفاءه الله تعالى على المسكين ؟ الذي لا يقدر على مدافعته، فيمنعه عنه ظلما وهذا بمقتضى التنافس، والتحاسد، والتباغض، ويعضده رواية السمرقندي: "فيحملون بعضهم على رقاب بعضهم " أي: بالقهر والغلبة، وأما ما اختاره القاضي فغير ملائمٍ للحديث، فتدبره تجده كما أخبرتك. والله تعالى أعلم.[2]

المطلب السادس: أثر سياق المقال في تخصيص العام:

المثال الأول:

نص الحديث: عن عائشة قالت دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا)ووَفِي رِوَايَةٍ: (تلعبان بِدُفٍّ).[1]

نص القرطبي: "وقول أبي بكر: (أبمزمور الشيطان؟): إنكار منه لما سمع، مستصحبًا لما كان تقرر عنده من تحريم اللهو والغناء جملة؛ حتى ظن أن هذا من قبيل ما يُنكر، فبادر إلى ذلك، قيامًا عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على ما ظهر له، وكأنه ما كان تبيَّن له أن النبي صلى الله عليه وسلم قررهن على ذلك بعد، وعند ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (دعهما)، ثم علل الإباحة: بأنه يوم عيد؛ يعني أنه يوم سرور وفرح شرعي، فلا ينكر فيه مثل هذا"[2] .

---

[2]- المفهم 94/7

[1] _ أخرجه مسلم في كتاب صلاة العيدين ،باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، رقم 892:

[2]-المفهم425/2

التوضيح: كان لسياق عدم انكار النبي صلى الله عليه وسلم على الجاريتين الغناء وعلى عائشة السماع تخصيص العموم الوارد في تحريم الغناء.

المثال الثاني :

نص الحديث: عن أنس قال: كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم! آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. "[3]
قال وكان أنس، إذا أراد أن يدعو بدعوة، دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء، دعا بها فيه.

نص القرطبي: "ومن باب: أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به، إنما كان أكثر دعاء النبي بقوله: "اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة"؛ لأنَّها من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والاخرة وذلك ان حسنة نكرة في سياق الطلب، فكانت عامة، فكانه يقول: أعطني كل حالة حسنة في الدنيا والاخرة. وقد اختلفت أقوال المفسرين في الآية اختلافا يدلّ على عدم التوقيف، وعلى قلة التغافل لموضع الكلمات، فقيل: الحسنة في الدنيا هي: العلم أوالعبادة، وفي الاخرة الجنة، وقيل: العافية والعاتبة، وقيل: المال وحسن المآل، وقيل: المرأة الصالحة والحور العين، والصحيح: الحمل على العموم . والله أعلم" .[1]

<u>التوضيح:</u> ذكر القرطبي أقوال العلماء في معنى حسنة في الآية، فقال وقد اختلفت أقوال المفسرين في الآية اختلافا يدلّ على عدم التوقيف، وعلى قلة التافل لموضع الكلمات، فقيل: الحسنة في الدنيا هي: العلم أو العبادة، وفي الاخرة الجنة، وقيل : العافية والعاتبة. وقيل: المال وحسن المآل، وقيل: المرأة الصالحة والحور العين، ثم اختار انها للعموم لأنها لفظ حسنة ورد نكرة في سياق النفي فحملها على العموم.

---

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، رقم: 2690

[1]-المفهم 24/7

المطلب السابع: أثر سياق المقال في توجيه بعض الظواهر اللغوية

أولا : اثر السياق في توجيه دلالة المفردة

المثال الاول:

نص الحديث :قالَ حُذَيْفَةُ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا؛ فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه)

قال حذيفة وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر قال: عمر أكسرا لا أباً لك فلو أنه فتح لعله كان يعاد قلت: لا بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليط . "

قال أبو خالد: فقلت لسعد يا أبا مالك ما أسود مربادا ؟ قال شدة البياض في سواد ، قال :قلت فما الكوز مجخيا قال منكوسا. "[1]

نص القرطبي: "وقال أبو عبيد: "المجخِّي: المائل، ولا أحسبه أراد بميله إلا أنه منخرق الأسفل، شبَّه به القلب الذي لا يَعِي خيرًا ولا يثبت فيه، كما لا يثبُتُ الماءُ في الكوز المنخرق"

ولا نحتاجُ إلى هذا التقديرِ والتكلُّف ؛ فإنَّه إذا كان مقلوبًا منكوسًا ـ كما قال سعد ـ لم يَثْبُتْ فيه شيءٌ وإنْ لم يكنْ منخرقا، وقد فسَّره سياقُ الحديث؛ حيثُ قال:)(لاَ يعرف معروفا، ولا ينكر مُنْكَرًا، إلاَّ مَا أشرب من هواه)[2] .

المثال الثاني:

نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني من هو خير مني؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار، حين جعل يحفر الخندق، وجعل يمسح رأسه ويقول (بؤس ابن سمية. تقتلك فئة باغية) .[1]

---

[1]- أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، رقم:211

[2]-المفهم 252/1

[1]- أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن ، وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء رقم: 2915

نص القرطبي: "نقل الأخباريون: أن معاوية تأول الخبر تأويلين: أحدهما أنه قال: بموجب الخبر فقال: نحن الباغية لدم عثمان رضي الله عنه، وثانيهما: أنه قال: إنما قتله من أخرجه للقتل، وعرضه له، وهذان التأويلان فاسدان؛ أما بيان فساد الأول: فالبغي وإن كان أصله الطلب فقد غلب عرف استعماله في اللغة والشرع على التعدي والفساد، ولذلك قال اللغويون: أبو عبيد وغيره، البغي: التعدى. وبغى الرجل على الرجل: استطال عليه، وبغت السماء: اشتدّ مطرها، وبغى الجرح: ورم وترامى إلى فساد، وبغى الوالي: ظلم، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذى هو حد الشيء بغي، وبرئ جرحه على بغي: وهو أن يبرأ وفيه شيء من نغل، وعلى هذا فقد صار الحال في البغي كالحال في الصلاة، والدابة، وغير ذلك من الأسماء العرفية التي إذا سمعها السامع سبق لفهمه المعنى العرفي المستعمل، لا الأصلي الذي قد صار كالمطّرح، كما بيناه في الأصول، وإلى حمل اللفظ على ما قلناه صار عبد الله بن عمرو بن العاص، وغيره يوم قتل عمار، وأكثر أهل العصر، ورأوا أن ذلك التأويل تحريف. سلمنا نفي العرف، وأن لفظ الباغية صالح للطلب وللتعدي، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الفئة الباغية في هذا الحديث في معرض إظهار فضيلة عمار وذم قاتليه، ولو كان المقصود البغي الذي هو مجرد الطلب لما أفاد شيئا من ذلك، وقد أفادهما بدليل مساق الحديث."[2]

المثالث الثالث:

نص الحديث :عن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أودعا بدعوى الجاهلية)[1].

نص القرطبي: "ودعوى الجاهليَّة هنا: هي النياحةُ، ونُدْبَةُ الميّت، والدعاءُ بالويل، والنَّعْيُ، وإطراءُ الميِّت بما لم يكنْ فيه ؛ كما كانتِ الجاهليَّةُ تفعل.

وَيَحْتملُ أن يراد بها: نداؤهم عند الهِيَاجِ والقتال: يا بني فلانٍ، منتَصَرًا بهم في الظُّلْمِ والفساد، وقد جاء النهي عنها في حديث آخر وقال : دَعُوهَا ؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ،

[2]-المفهم 212/7

[1]-أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية :رقم

وأمَرَ بالانتماء إلى الإسلامِ ، فقال : ادْعُوا بِدَعْوَةِ المسلمين الَّتي سَمَّاكم اللهُ بِهَا. والأولُ : أليقُ بهذا الحديث؛ لأنَّه قَرَنَهُ بضربِ الخدود، وشَقِّ الجيوب"[2]

التوضيح: كان للسياق اللغوي من خلال" لاحق الكلام "دوره في تفسير المفردة السابقة، والتي قبلها وهو جزء لا يتجزأ من عناصر السياق اللغوي، وإشارة القرطبي إلى لاحق الكلام تتوافق تماما مع أحد التعريفات التي ذكرها المحدثون للسياق.

المثال الرابع:

- **نص الحديث**: عن سعد بن أبي وقاص يقول: "والله! إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة، وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الدين، لقد خبت، إذا وضل عملي"[3] .

نص القرطبي: "وقوله :(ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الدين) هو بالزاي أولى وبالراء ثانية من التعزير، واختلف في معناه هنا ، نقال الهروي: معناه : توقفني عليه ، والتعزير: التوقيف على الأحكام، والفرائض، وقال الطبري: أي: تقومني وتعلمني، ومنه تعزير السلطان ؟ أي: تقويمه بالتأديب، وقال الحربي: التعزير بمعنى اللوم والعتب. قلت: هذه أقوال الشارحين لهذه الكلمة، وفيها كلها بعد عن معنى الحديث، والذي يظهر لي: أن الأليق بمعناه: أن التعزير معناه الإعظام والإكبار.. وهذا الذي ذكرناه هو الذي صرح به عتبة بن غزوان في الحديث الاتي بعد هذا، حيث قال: (لقد رأيتني مع رسول الله سابع سبعة، وما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها، واتزر سعد بنصفها، فما أصبح منا اليوم أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار، وإنني أعوذ بالله أن كون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا)[1] . فيحتمل أن يكون هذا هو الذي عنى به سعد بن أبي وقاص. والله تعالى أعلم."[2]

---

[2]- المفهم 201/1

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ما بين النفختين ،رقم 2966

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ما بين النفختين رقم: 2966

[2]-المفهم 99/7

التوضيح: كان للسياق اللغوي من خلال" لاحق الكلام "دوره في تفسير المفردة السابقة، كما كان
للرواية الأخرى للحديث، وهي جزء من عناصر السياق اللغوي، دوره أيضا في شرح الكلمة، وترجيح الدلالة على غيرها.

المثال الخامس:

نص الحديث: عن أم عطية. قالت:" دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نغسل ابنته. فقال (اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغتن فآذنني) فلما فرغنا آذناه. فألقى إلينا حقوه، فقال (أشعرنها إياه)" [3]

نص القرطبي: وقوله: فألقى إلينا حَقْوَه فقال: ((أَشْعِرْنَها إيَّاه))، الحقو بالفتح: هو المعروف من كلام العرب، وقالته هذيل بكسر الحاء، وأصله : معقد الإزار، وجمعه: أَحْقٍ، وأحقاء، وحُقِيّ : كدَلْو، وأدْلاء، ودُلِيّ. وهو في هذا الحديث: الإزار، وهو المئزر الذي يُشد على الحقو، فسمي باسم الحقو على التوسُّع. كما تقول العرب: عذت بحقو فلان؛ أي: استجرت به.[4]

التوضيح : فسر القرطبي مفردة الحقو بدلالة السياق اللغوي من خلال ورودها في الحديث. فعدل عن دلالة الكلمة المعهودة الى دلالتها الخاصة في الحديث بدلالة السياق.

المثال السادس:

نص الحديث: عن أبي هريرة. قال**:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا، عباد الله إخوانا) [1].

نص القرطبي: "وقوله: (ولا تناجشوا،) قيل فيه: إنه من باب النجش في البيع الذي تقدَّم ذكره في البيوع. وفيه بعد؛ لأنَّ صيغة تفاعل أصلها لا تكون إلا من اثنين، فـ (تناجش) لا يكون من واحد، و(النجش) يكون من واحد، فافترقا لي وان كان أصلهما واحدا؛ لأنَّ أصل النجش: الاستخراج والإثارة. تقول: نجشت الصيد، أنجشه، نخشا: إذا استثرته من مكانه. وقيل: "لا تناجشوا" لا ينافر بعضكم بعضا. أى: لا يعامله من القول بما ينفره، كما ينفر الصيد، بل يسكنه ويؤنسه، كما

---

[3]-أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب في غسل الميت رقم: 1256

[4]المفهم 474/2

[1]- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والاداب ، بباب تحريم الظن والتجسس والتنافس رقم: 4654

قال: سكنا، ولا تنفرا" وهذا أحسن من الأول، وأولى بمساق الحديث. والله تعالى أعلم."[2]

التوضيح: وجه القرطبي دلالة الكلمة بصيغتها الصرفية حيث قال لان صيغة (تفاعل) أصلها لا تكون إلا من اثنين فعدل عن معنى الكلمة المعهود وهو النجش في البيع الى معنى اخر أفاده السياق.

ثانيا: أثر السياق في توجيه دلالة المشترك

أولا: تعريفه: المشترك اللفظي: "هو اللفظ الواحد الدال على أكثر من معنى دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة"[3]

وظف القرطبي السّياق في تحديد دلالة المشترك اللفظي ومن ذلك:

المثال الأول:

نص الحديث: عن أبي هريرة؛ قال :لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)، فقال أبو بكر: "والله! لأقتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال. فعرفت أنه الحق. "[1]

نص القرطبي: "وقوله: (وَاللهِ لَوْ مَنَعَوْنِي عِقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم على منعه) اخْتُلِفَ في هذا العِقَال على أقوال: أولها: أنه الفريضة من الإبل؛ رواه ابن وَهْبٍ عن مالك، وقاله النّضر بن شُمَيْل. وثانيها: أنَّه صدقة عامٍ؛ قاله الكسائيّ ؛ وأنشد:

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَدًا // فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْن

وثالثها: أنَّه كُلُّ شيءٍ يؤخذُ في الزكاةِ مِنْ أنعامٍ وثمار؛ لأنَّه يعقل عن مالكه؛ قاله أبو سعيد الضريرُ.

ورابعها: هو ما يأخُذُهُ المصدِّق من الصدقة بعينها، فإنْ أخَذَ عِوَضَها، قيل: أخَذَ نقدًا ؛ ومنه قولُ الشاعر: وَلَمْ يَأْخُذْ عِقَالاً وَلاَ نَقْدًا.

وخامسها: أنه اسمٌ لما يُعْقَلُ به البعير؛ قاله أبو عُبَيْد، وقال: قد بعَثَ رسول اللهِ

---

[2]-المفهم 436/6

[3]-المزهر في علوم اللغة (369/1).

[1]- أخرجه مسلمِ في كتاب الايمان ،باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويقيموا الصلاة، رقم: 60

صلى الله عليه وسلم محمَّد بن مَسْلَمة على الصدقة، فكان يأخذ مع كُلِّ قَرَنَيْنِ عِقَالاً ورِوَاءً.
قال الشيخ رحمه الله: والأشبه بمساق قول أبي بكر رضى الله عنه أن يراد بالعِقَال: ما يُعْقَلُ به البعير ؛ لأنه خرج مَخْرَجَ التقليل. والله أعلم).[2]

المثال الثاني:

نص الحديث: عن أبي هريرة؛ قال: (كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، معنا أبو بكر وعمر، في نفر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع...) [3]

[2]-المفهم 109/1
[3]-أخرجه مسلمِ في كتاب الإيمَانِ ،بَاب من لَقِيَ اللَّهِ بَالإيمَانِ وَهُوَ غَير ، رقم: 4

نص القرطبي: وقوله: "فَفزِعنا وَقُمْنَا، أي: تَرَكْنَا ما كنا فيه وأقبلنا على طلبه؛ من قولهم: فَزِعْتُ إلى كذا: إذا أقبلت عليه، وتفرَّغت له؛ ومنه قول الشاعر:
فَزِعْتُ إليكُمْ في بَلاَيَا تَنُوبُنِي // فَأَلْفَيْتُكُمْ فيها كَرِيمًا مُمَجَّدَا
وقد دلَّ على ذلك قوله : فكنت أَوَّلَ مَنْ فَزِع ، أي: أوَّلَ من أخذ في طلبه، وليس من الفزع الذي هو الذُّعر والخوف؛ لأنَّه قد قال قبل هذا: فَخَشِينَا أَنْ يقتطع دوننا، ثم رتَّب فَزِعْنَا عليه بفاء التعقيب المشعرة بالتسبُّب، والفَزَعُ: لفظٌ مشترك يطلق على ذينك المعنيين، وعلى الإغاثة." [1]

المثال الثالث:

نص الحديث: عن المقداد بن الأسود قَال سَمِعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم يقول(تدنى الشَّمس يوم القيامَة من الخلق حتَّى تكون منهم كمقدار ميل)، قَالَ سليم بن عَامر فوالله مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بالميل أمسافة الأَرْض أَو الميل الذي تكحل بِهِ الْعين قال: (فَيكون النَّاس على قدر أَعمالهم فِي العرق فمنهم من يكون إِلى كعبيه ومنهم من يكون إِلَى ركبتيه ومنهم من يكون إِلى حقويه ومنهم من يلجمه الْعرق الجاما) وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فِيهِ."[2]

نص القرطبي: "قوله : (تدنى الشمس يوم القيامة) أي : تقرب، والميل: اسم مشترك بين مسافة الأرض ، والمزود الذي تكحل به العين. ولذلك أشكل المراد على سليم بن عامر ، والأولى به هنا: مسافة الأرض؛ لأنَّها إذا كان بينها وبين الرؤوس مقدار المرود فهي متصلة بالرؤوس لقلة مقدار المرود."[3]

المثال الرابع:

نص الحديث: عن زيد بن أرقم؛ قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في
الصلاة، حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة -238] فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام.)[1]

نص القرطبي : "وقوله: حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ ؛ القنوت يتصرّف في الشرع واللغة على أنحاء مختلفة، يأتي بمعنى الطاعة، وبمعنى السكوت، وبمعنى

---

[1]- المفهم 125/1
[2]- أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها ،باب في صفة يوم القيامة اعاننا الله، رقم :5112
[3]- المفهم 108/2
[1]- أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب تحريم الكلام في الصلاة تحت رقم 538

طول القيام ، وبمعنى الخشوع ، وبمعنى الدعاء، وبمعنى الإقرار بالعبودية، وبمعنى الإخلاص. وقيل : أصله: الدوام على الشيء ؛ ومنه الحديث: (قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرًا يدعو على قبائل من العرب) ؛ أي: أدام الدعاء والقيام له. واللائق بالآية من هذه المعاني: السكوت والخشوع".[2]

التوضيح: بين القرطبي رحمه الله معاني اللفظة المشركة "القنوت"، ورجع معنى واحد، وهو السكوت والخشوع لأنه دل عليه السياق.

والقرطبي رحمه الله يفسر دلالة الكلمة بحسب السياق الذي ترد فيه فيثبت دلاله لها تختلف عن دلالتها في سياق آخر..

[2]- المفهم 116/2

المطلب الثامن: أثر سياق جمع الاحاديث في توجيه الدلالة:

إن دلالة السياق لها علاقة تامة بجمع الأحاديث إذ يعتبر الجمع بيئة داخلية للنص، وله تأثير على توجيه دلالة الحديث، "والمقصود بذلك النظر في كل طرق الحديث ووجوه ومروياته، واختلاف الفاظه، وقبل ذلك جمع أحاديث الباب ودراسة رواياتها والفاظ كل حديث منها، "[1] ويأتي الجمع على معنين ":

المعنى الأول: تتبع روايات الحديث الواحد، من مظانها، وجمع ألفاظها، مع العناية بتمييز صحيح
تلك الروايات من سقيمها، ومن الأمثلة على ذلك: حديث قبض العلم للطوسي، وحديث من كذب علي للطبراني وهذا النوع من التأليف يراد منه جمع روايات حديث واحد، وهو يؤدي إلى معرفة السياق الخاص.

المعنى الثاني: جمع الروايات المتفقة في المعنى، كالأحاديث المتفقة في باب مخصوص، أو
فضيلة معينة، أو نحو ذلك، ومن الأمثلة على ذلك :جزء في رفع اليدين، وجزء في القراءة خلف
الإمام، وكلاهما للإمام البخاري، وهذا النوع من التأليف يقصد منه جمع الأحاديث المتفقة في هذا
المعنى العام ، وهو يؤدي إلى معرفة السياق العام لمجموع تلك الأحاديث."[2]

وقد اعتنى القرطبي كثيرا بجمع الروايات لتوجيه دلالة الاحاديث ومن ذلك :

المثال الاول:

نص الحديث : عن أبي هريرة. يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم:(يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا. فإذا استيقظ، فذكر الله، انحلت عقدة، وإذا توضأ، انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) .[3]

نص القرطبي: "وقد أضاف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الخبث للنفس، مع أنه قد قال في حديث آخر: (لا يقل أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل:

---

[1]- أثر السياق، وجمع الروايات ،وأسباب الورود في فهم الحديث-دراسة تطبيقية- ص 200

[2]- دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي، من خلال تطبيقات الأئمة :ص:**255**

[3]- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح رقم : 776

لقست نفسي)[1] ، ولا تعارض بينهما؛ لأن الذي منعه النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو: أن يطلق الإنسان على نفسه لفظ الخبث، وهو مذموم، فيذم نفسه، ويضيف الذم إليها، وهو ممنوع في مثل هذا، وأما لو أضاف الإنسان لفظ الخبث إلى غيره مما يصدق عليه، لم يكن ذلك مذمومًا ولا ممنوعًا. والله أعلم "[2]

المثال الثاني

نص الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن")[3] .

نص القرطبي: (وظاهرُ هذا الحديث: حجَّةٌ للخوارج والمعتزلة وغيرهم ممَّن يخرج عن الإيمان بارتكاب الكبائر ، غيرَ أنَّ أهلَ السنة يعارضونهم بظواهرَ أُخَرَ أولى منها، كقولِهِ صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذَرٍّ : مَنْ مات لا يُشْرِكُ بالله شيئًا، دخل الجنة وإنْ زنَى وإن سرق، وكقوله في حديثِ عبادة بْنِ الصامت: ومن أصاب شيئًا مِنْ ذلك - يعني: مِنَ القتلِ والسَّرِقَةِ والزنى- فعُوقِبَ به ، فهو كَفَّارةٌ له، ومَنْ لم يُعَاقَبْ، فأمرُهُ إلى الله؛ إنْ شَاءَ عفا عنه، وإنْ شَاءَ عَذَّبَهُ.

ويعضُدُ هذا قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء - 116] ونَحْوُ ذلك في الأحاديثِ كثيرٌ.

ولمَّا صحّت هذه المعارضةُ ، تعيَّن تأويلُ تلك الأحاديثِ الأُوَلِ وما في معناها، وقد اختلَفَ العلماءُ في ذلك : فقال حَبْرُ القرآنِ عبدُاللهِ ابنُ عبَّاس - رضى الله عنهما -: إنَّ ذلك محمولٌ على المستحِلِّ لتلك الكبائر.

وقيل: إنَّ معنى ذلك: أنَّ مرتكبَ تلك الكبائرِ يُسْلَبُ عنه اسمُ الإيمانِ الكاملِ أو النافعِ، الذي يفيدُ صاحبَهُ الانْزِجَارَ عن هذه الكبائر.

وقال الحسن: يُسْلَبُ عنه اسمُ المدح الذي يسمَّى به أولياءُ اللهِ المؤمنون، ويَستَحِقُّ اسمَ الذمِّ الذي يسمَّى به المنافقون والفاسقون"[1]

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب لا يقل خبثت نفسي، رقم **5825**

2-المفهم:226/2

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الايمان ،باب باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ، رقم:57

[1]- المفهم 158/1

المثال الثالث:

نص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نسي وهو صائم، فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)[2] .

نص القرطبي: "وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من نسي وهو صائم ، فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)، احتج به من أسقط القضاء عمن أفطر ناسيًا في رمضان، وهو الشافعي وغيره، وخالفهم في ذلك مالك وغيره ، ولهؤلاء أن يقولوا بموجب ذلك إذ لم يتعرض فيه للقضاء، بل الذي تعرض له سقوط المؤاخذة عمن أفطر ناسيًا، والأمر بمضيه على صومه وإتمامه . وهم يقولون بكل ذلك. فأما القضاء فلا بدَّ له منه إذ المطلوب صيام يوم تام لا يقع فيه خرم ، ومن لم يأت به، فهو باق عليه ، هذا عذر أصحابنا عن هذا الحديث الذي جاء بنص كتاب مسلم ، وفي كتاب الدار قطني لهذا الحديث مساقٌ أنصّ من هذا عن أبي هريرة مرفوعًا قال: (إذا أكل الصائم ناسيًا أو شرب ناسيًا ، فإنما هو رزق ساقه الله إليه ، ولا قضاء عليه). قال الدار قطني في إسناده : إسناد صحيح ، وكلهم ثقات. وفي طريق آخر : (من أفطر في شهر رمضان ناسيًا فلا قضاء عليه، ولا كفارة)، وهو صحيح أيضًا. وهذه النصوص لا تقبل ذلك الاحتمال، والشأن في صحتها، فإن صحّت وجب الأخذ بها، وحكم بسقوط القضاء".[3]

التوضيح: أورد القرطبي روايات الحديث للوصول إلى فهم سديد للنص، مبينا أن أكثر الروايات، وأحسنها مساقا وردت بلفظ "ولا قضاء عليه " فأزالت الاحتمال الوارد في توجيه المالكية لقوله صلى الله عليه وسلم "فإنما أطعمه الله وسقاه. "
وخلاصة القول أن جمع الروايات، وألفاظ الحديث عند القرطبي كانت حاضرة عنده لدفع الالتباس، والغموض فيه. وتوكد وعيه بتماسك النصوص، وأن الحديث يفسر بعضه بعضا.

---
[2]- أخرجه مسلم،في كتاب الصيام باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر ، رقم :1155
[3]- المفهم173/3

المبحث الثاني :
سياق المقام وأثره في توجيه دلالة الأحاديث عند القرطبي

وقد اشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول :قصد المتكلم وأثره في توجيه دلالة الحديث

المطلب الثاني حال المخاطب وأثره في معرفة دلالة الحديث

المطلب الثالث : أثر دلالة سياق الحال في ضبط النص

المطلب الرابع : أثر سياق الورود في توجيه دلالة الحديث

المطلب الخامس: أثر سياق القصة في توجيه دلالة الحديث

المطلب السادس: أثر سياق النسخ في توجيه دلالة الحديث

المطلب الاول :قصد المتكلم وأثره في توجيه دلالة الحديث

نص الحديث: عَنْ عائشة أنها قالت: "كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار فثابوا ذات ليلة فقال: (يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل، وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أثبتوه)".[1]

نص القرطبي: "وقوله : (فإن الله لا يملّ حتى تملوا): ظاهره محالٌ على الله تعالى، فإن الملال فتورٌ عن تعب، وألَمٌ عن مشقة، وكل ذلك محال على الله تعالى، وإنمّا أطلق هنا على الله تعالى على جهة المقابلة اللفظية مجازًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾[نوح-22]و: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة -194] وجهة[مجازه]: أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه [عَمَّن ملَّ من العمل] وَقَطَعَهُ؛ عبّر عن ذلك بالملل؛ من باب تسمية الشيء باسم سببه".[2]

التوضيح: معرفة قصد المتكلم كان له أثر في توجيه لفظ الملل إذا أنه محال على الله تعالى، ولم يقصده النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان من باب المقابلة اللفظية ومعناه: أن الله يقطع ثوابه عن من ملَّ عن العمل، وعبر عن ذلك بالملل من باب تسمية الشيء باسم سببه.

[1]- أخرجه الامام مسلم ،في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ،رقم :782.

[2]-المفهم 330/2

المثال الثاني

نص الحديث: عن أبي هريرة، قال :سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال "إيمان بالله" قال: ثم ماذا؟ قال "الجهاد في سبيل الله" قال: ثم ماذا؟ قال "حج مبرور"[1].

نص القرطبي: "وقوله (ثمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله) ، ظاهرُ هذا الحديثِ : أنَّ الجهاد أفضلُ من سائر الأعمال بعد الإيمان ، وظاهرُ حديثِ أبي ذَرّ[2] ـ رضى الله عنه ـ أنَّ الجهادَ مساوٍ للإيمان في الفضل، وظاهرُ حديثِ ابن مسعود[3] ـ رضى الله عنه ـ: يخالفهما ؛ لأنَّه أخَّر الجهادَ عن الصلاةِ، وعن بِرِّ الوالدَيْن، وليس هذا أحوالِ ؛ لأنَّه إنَّما اختلفَتْ أجوبتُهُ لاختلاف أحوالِ السائلين ، وذلك أنَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجيبُ كلَّ سائلٍ بالأفضل في حقِّه ، وبالمتأكِّد في وقته"[4].

المثال الثالث:

نص الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كانت الأولى من موسى نسيانا". قال "وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة. ثم نقر في البحر. فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر. "[5]

نص القرطبي: "والعلم ها هنا : بمعنى : المعلوم، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾[البقرة-255] أي: من معلوماته، وهذا من الخضر تمثيل ؛ أي : معلوماتي ومعلوماتك في علم الله تعالى لا أثر لها، كما أن ما أخذ هذا العصفور من هذا البحر لا أثر له بالنسبة إلى ماء البحر ، وإنما مثل له ذلك بالبحر ؛ لأنه أكبر ما نشاهده مما بين أيدينا، وهذا نحو مما قاله تعالى : ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾[الكهف-109] وإطلاق لفظ النقص هنا

[1]-أخرجه الامام مسلم في كتاب الايمان ،باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم :**83**
2-أخرجه البخاري في كتاب العتق،باب أي الرقاب أفضل ، رقم : 2518
3-أخرجه البخاري في كتاب المواقيت،باب فضل الصلاة لوقتها، رقم:504
[4]- المفهم 181/1
[5]- أخرجه الامام مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام رقم: **2380**

تجوُّز قصد به التمثيل، والتَّفهيم؛ إذ لا نقص في علم الله تعالى ولا نهاية لمعلوماته"[1]

التوضيح: العلم بمقصد المتكلم وهو الخضر عليه السلام ،يعتبر من الأحداث المصاحبة التي تساعد في فهم الحديث فقول الحضر عليه السلام :"ما نقص علمي وعلمك من علم الله" من باب التمثيل ،لأن اطلاق لفظ النقص قصد به التمثيل وهو محال على الله تعالى ،ولم يقصده الخضر عليه السلام .

[1] -المفهم 163/6

المطلب الثاني حال المخاطب وأثره في معرفة دلالة الحديث

نص الحديث: عن جابر بن عبدالله يقول: كنا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث أو الربع بالماذيانات فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحين فقال (من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه فإن لم يمنحها أخاه فليمسكها)[1] .

نص القرطبي: "وفي هذا الحديث حجة للجمهور وأئمة الفتوى : مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة . وهو مذهب ابن عباس ، وابن عمر ، ورافع بن خديج على منع كراء الأرض بجزء مما يخرج منها على من أجاز ذلك ؛ وهم: الليث بن سعد ، وابن أبي ليلى ، وسفيان الثوري ، والحسن بن علي ، والأوزاعي، وهو مذهب علي وعمار، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص. ووجه الاستدلال بذلك: أن هذه كانت مزارعاتهم ، فلما أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك نهى عنها ، وبين ما يجوز فعله في الأرض ، وهو: أن يزرعها بنفسه، أو يزرعها غيره ، أو يكريها بشيء معلوم مضمون، كما قد بيناه ، ولأن ذلك هي المخابرة المنهي عنها ، كما تقدَّم ، ولما فيه من الجهالة ، والغرر، والخطر ، بل قد جاءت نصوص في كتاب أبي داود بتحريم ذلك؛ فمنها: ما رواه عن زيد بن ثابت قال: نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن المخابرة . فقيل له: وما المخابرة ؟ قال: أن تأخذ الأرض بنصف، أو ثلث، أو ربع. وهذا نصٌّ من تفسير الصحابي، وهو أعلم بالحال، وأقعد بالمقال. [2] "

التوضيح : وظف القرطبي فهم الصحابي لمعنى المخابرة في الرد على من منع كراء الارض مطلقا ؛ لأن الصحابي هو المخاطب بحديث رسول الله وهو أعلم بالقرائن وسياق الحال.

1- أخرجه الامام مسلم ،في كتاب البيوع ، باب كراء الأرض رقم :1536

2-المفهم ج:4 ص:328

المطلب الثالث : أثر دلالة سياق الحال في ضبط النص

1-الدلالة على الحذف من المتن:

المثال الاول:

نص الحديث: عن البراء بن عازب؛ أن خاله، أبا بردة بن نيار ذبح قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! إن هذا يوم، اللحم فيه مكروه، وإني عجلت نسيكتي لأطعم أهلي وجيراني وأهل داري. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعد نسكا) فقال: يا رسول الله! إن عندي عناق لبن هي خير من شاتي لحم. فقال (هي خير نسيكتيك. ولا تجزى جذعة عن أحد بعدك)[1] .

نص القرطبي:" وقوله: (إن هذا يومٌ اللحم فيه مكروه)؛ قال القاضي: هكذا رويناه بالهاء والكاف من طريق الفارسي، والسجزي، وكذا ذكره الترمذي، ورويناه من طريق العذري: (مقروم) بالقاف والميم قلت: وهذه الرواية هي الصواب الواضح. ومعناها: أن اللحم في هذا اليوم تتشوَّف النفوس إليه لشهوتها. يقال : قَرِمْتُ إلى اللحم، وقَرِمْتُه: إذا اشتهيته، أَقْرُمُ قرمًا. وأما رواية مكروه : ففيها بُعْد. وقد تكلَّف لها بعضهم ما لا يصحّ رواية ولا معنى، فقال: صوابه: اللَّحم - بفتح الحاء - قال ومعناه: أن يترك أهله بلا لحم حتى يشتهوه . و(اللَّحم) -بالفتح - : شهوة اللحم . فانظر مع هذا التكلُّف القبيح كيف لا يظهر منه معنى صحيح . وقال أخر : معنى : (اللحم فيه مكروه) ؛ أي: لمخالفته السنة، كما قال في الحديث الآخر: (شاتك شاة لحم).

قلت: وهذا من قول من لم يتأمل مساق الحديث، فإنَّ هذا التأويل ليس ملائمًا له، ولا موافقًا لمعناه؛ إذ لا يستقيم أن يقول: إن هذا اليوم اللحم فيه مخالف للسنة، وإني عجلت نسيكتي لأطعم أهلي. وهذا فاسد. وأقرب ما يتكلّف لهذه الرواية وأنسبه: أن يقال: إن معناه : اللحم فيه مكروه التأخير. فحذف التأخير، وهو يريده. ويشهد لهذا قوله بعده متصلاً به: (وإني عجلت نسيكتي لأطعم أهلي وجيراني) ،وهذا مناسب لما قدَّرناه من المحذوف. والله تعالى أعلم[1] ".

---

[1]-أخرجه الامام مسلم في كتاب الاضاحي، باب وقتها تحت رقم **1961**

[1]- المفهم 286/5

المطلب الرابع : أثر سياق الورود في توجيه دلالة الحديث :

المثال الاول:

نص الحديث عن عروة، عن عائشة؛ أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتشفع في حد من حدود الله؟) ثم قام فاختطب فقال :(أيها الناس! إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف، تركوه. وإذا سرق

فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد. وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1] .

نص القرطبي : "قولها: (إن قريشًا أهمَّهم شأن المخزومية التي سرقت) ؛ هذا هو الصحيح : أن هذه المرأة سرقت ، وقطعت يدها لأجل سرقتها ، لا لأجل جحد المتاع ...... إنَّه لا تعارض بين رواية من روى : (سرقت) ولا بين رواية من روى : (جحدت ما استعارت) ؛ إذ يمكن أن يقال : إن المرأة فعلت الأمرين ، لكن قطعت في السرقة ، لا في الجحد ، كما شهد به مساق الحديث ، فتأمله"[2] .

المثال الثاني :

نص الحديث: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال :حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله ! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا كان العام المقبل إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع " قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية :" لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع "3 . يعني يوم عاشوراء.

نص القرطبي: وقوله : ((لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع)) ؛ ظاهره: أنه كان عزم على أن يصوم التاسع بدل العاشر. وهذا هو الذي فهمه ابن عباس ، حتى قال للذي سأله عن يوم عاشوراء: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائمًا. وبهذا تمسَّك من رآه التاسع. ويمكن أن يقول من رأى صوم التاسع والعاشر : ليس فيه دليل على أنه يترك صوم العاشر ، بل وعد بأن يصوم التاسع مضافًا إلى العاشر ، وفيه بُعد عند تأمل مساق الحديث، مبنيًا على أنه جواب سؤالٍ سبق، فتأمَّل"[1] .

التوضيح: هذا المعنى الذي رجحه القرطبي، ألا وهو صيام يوم التاسع يقتضيه سياق ورود الحديث الذي هو سؤال وجواب فكان صيام يوم التاسع بدلا من العاشر .

المثال الثالث :

---

[1]- أخرجه مسلم في كِتَاب الْحُدُودِ ، بَاب قطع السارق الشريف وغيره والنهي رقم :**3203**

[2]-المفهم 62/5

[3]- أخرجه مسلمِ في كتاب الصيام، باب في اي يوم يصام عاشوراء رقم :**1923**

[1]-المفهم 151/3

نص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: هذا.يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاص، عهد إلي أنه ابنه.انظر إلى شبهه،وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله ولد على فراش أبي من وليدته، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شبهه، فرأى شبها بينا بعتبة.فقال هو لك يا عبد.الولد للفراش وللعاهر الحجر.واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة.قالت: فلم ير سودة قط"[2] .

نص القرطبي: "وقوله : (وللعاهر الحجر) ؛ العاهر : الزاني وهو اسم فاعل من : عَهَرَ الرَّجلُ المرأة ، يعْهَرُهَا : إذا أتاها للفجور. وقد عهرت هي ، وتعيهرت ؛ إذا زنت . والعهر : الزنا .

واختلف في معنى : (للعاهر الحجر) فمنهم من قال : عني به الرَّجم للزاني المحصن . ومنهم من قال : يعني به : الخيبة ؛ أي : لا حظَّ له في الولد ؛ لأن العرب تجعل هذا مثلاً . كما يقولون : امتلأت يده ترابًا ؛ أي : خيبة .

قلت : وكان هذا هو الأشبه بمساق الحديث ، وبسببه . وهي حاصلة ؛ أي : الخيبة لكل الزناة . فيكون اللفظ محمولاً على عمومه . وهو الأصل . ويؤخذ دليل الرَّجم من موضع آخر. وحمله على الزاني المحصن تخصيص اللفظ من غير حاجة ولا دليل"[3] .

التوضيح:نص القرطبي هنا يوضح أن سياق أسباب الورود توجه به دلالة الحديث ،وتستبعد به معان لايقتضيها السياق كمعنى الحجر هنا والذي يفيد المنع لا الرجم .

المثال الرابع :

نص الحديث: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال (لا يلدغ المؤمن، من جحر واحد مرتين)[1].

نص القرطبي:" وقوله صلى الله عليه وسلم: "(لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) هذا مثل صحيح، وقول بليغ ابتكره النبي صلى الله عليه وصلم من فوره، ولم يسمع من غيره، وذلك أن السبب الذي أصدره عنه هو: أن أبا عزيز بن عمير الشاعر أخا مصعب بن عمير كان يهجو النبي ويؤذيه، ويؤذي المسلمين، فأمكن الله تعالى منه يوم بدر، فأخذ أسيرا، وجيء به إلى النبيّ فسأله أن يمن عليه، ولا

---

[2]- أخرجه مسلمِ في ،كتاب الرضاع باب الولد للفراش ،وتوقي الشبهات رقم : 2737

[3]- المفهم 155/4

[1]- أخرجه الإمام مسلم في ، كتاب الزهد والرقائق ,باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين رقم 2998

يعود لشيء مما كان يفعله، فمنَّ النبي صلى الله عليه وسلم عليه فأطلقه، فرجع إلى مكة، وعاد إلى أشد مما كان عليه، فلما كان يوم أحد، أمكن الله منه، فأُسر، فأحضر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يمُّن عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، والله لا تمسح عارضيك بمكة أبدا)، فأمر بقتله. وأصل هذا المثل: أن الذي يلدغ من جحر لا يعيد يده إليه أبدا، إذا كان فطنا حذرا، بل: ولا لما يشبهه، فكذلك المؤمن لكياسته، وفطانته، وحذره إذا وقع في شيء مما يضره في دينه أو دنياه لا يعود إليه، والرواية المعروفة: (لا يلدغ) بضم الغين، وكذلك قرأته على الخبر، وهو الذي يشهد له سبب الخبر ومساقه، وقد قيده بعضهم بسكون الغين على النهي، وفيه بعد".[2]

التوضيح: وجه القرطبي إعراب اللفظة السابقة في الحديث: "لا يلدغ " بالضم بدلالة سياق ورود الحديث الذي فيه اخبار وجواب لمن سال النبي صلى الله عليه وسلم أن يمتن عنه.

المطلب الخامس : أثر سياق القصة في توجيه دلالة الحديث

المثال الاول :

- **نص الحديث** : عن سعيد بن جبير. قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى، عليه السلام، صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، عليه السلام. فقال: كذب عدو الله... قال الخضر بيده هكذا فأقامه. قال له موسى: قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا،﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾[الكهف-78،77] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرحم الله موسى. لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما) [1]

نص القرطبي : وقوله : (قال الخضر بيده - هكذا - فأقامه) ؛ يعني به أنه أشار إليه بيده فقام؛فيه دليل على كرامات الأولياء ، وكذلك كل ما وصف من أحوال الخضر في هذا الحديث، وكلها أمور خارقه للعادة . هذا إذا تنزلنا على أنه ولي لا

[2]- المفهم 511/6

[1]- أخرجه الامام مسلم في كتاب الفضائل ،باب من فضائل الخضر عليه السلام رقم :2380

نبي ، وقد اختلف فيه أئمة أهل السُّنَّة. والظاهر من مساق قصته واستقراء أحواله ، مع قوله : ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾[الكهف-82]؛ أنه نبي يوحى إليه بالتكاليف والأحكام ، كما أوحي إلى الأنبياء ، غير أنه ليس برسول. [2]

---

[2]-المفهم 169/6

المطلب السادس : أثر سياق النسخ في توجيه الحديث

المثال الاول :

نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر على رجل من الأنصار ، فأرسل إليه ، فخرج ورأسه يقطر ، فقال :(لعلنا أعجلناك ؟) قال : نعم يا رسول الله ، قال: (إذا أعجلت ، أو أقحطت ، فلا غسل عليك ، وعليك الوضوء)، وفي رواية (انما الماء من الماء)"[1] .

نص القرطبي: وقوله :" ((فلا غسل عليك وعليك الوضوء)) ، كان هذا الحكم في أول الإسلام ثم نسخ بعد ، قاله الترمذي وغيره.

وقد أشار إلى ذلك أبو العلاء بن الشخير وأبو إسحاق ، قال ابن القصَّار[2] : أجمع التابعون ومن بعدهم بعد خلاف من تقدم على الأخذ بحديث : (إذا التقى الختانان) ؛ وإذا صح الإجماع بعد الخلاف كان مسقطًا للخلاف .قال القاضي عياض : لا يُعلم من قال به بعد خلاف الصحابة إلا ما حكي عن الأعمش ، ثم بعده داود الأصبهاني، وقد روي أن عمر حمل الناس على ترك الأخذ بحديث : (الماء من الماء) ؛ لما اختلفوا فيه"[3] .

التوضيح :

المعنى الظاهر من الحديث السابق يدل على أن الرجل اذا جامع زوجته ولم ينزل فعليه الوضوء فقط وهو معنى مرجوع بدلالة سياق النسخ بحديث (اذا التقى الختانان) ،فالمعرفة بسياق الناسخ والمنسوخ جزء مهم من سياق الحال لتوجيه الدلالة عند الامام القرطبي

المثال الثاني :

نص الحديث: عن زيد بن ثابت قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "الوضوء مما مست النار. "[1]

---

[1]-أخرجه الامام مسلم في كتاب الحيض ، باب إنما الماء من الماء رقم 345

[2]- هو القاضي أبو الحسن، علي بن محمد بن عمر بن أحمد البغدادي الأبهري الشيرازي المالكي، المعروف بابن القصار الفقيه الاصولي النظار (ت422ه)- أنظر طبقات الفقهاء 168،ترتيب المدارك 602/4، شجرة النور الزكية 138/1.

[3]-المفهم 448/1

[1]- أخرجه مسلمِ في كتاب الصلاة **باب الوضوء مما مست النار ، رقم: 351**

نص القرطبي: قوله: " (الوضوء مما مست النار) ، هذا الوضوء هنا هو الوضوء الشرعيُّ العرفيُّ عند جمهور العلماء، وكان الحكم كذلك ثم نسخ، كما قال جابر بن عبد الله: (كان آخر الأمرين من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترك الوضوء مما مسّت النار)[2] وعلى هذا تدل الأحاديث الآتية بعد، وعليه استقر عمل الخلفاء ، ومعظم الصحابة ، وجمهور العلماء من بعدهم"[3] .

وخلاصة القول أن الأحداث المصاحبة للنص كانت حاضرة عند القرطبي في توجيه دلالة الحديث، كمعرفة الناسخ والمنسوخ و هو جزء من سياق المقام الذي توجه به الدلالة.

[2]-رواه أبو داوود في كتاب الطهارة باب ترك الوضوء مما مست النار رقم: 192

[3]- المفهم 451/1


خاتمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام, وأكرمنا بالإيمان وهدانا بالإحسان, والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين, وعلى آله وصحبه والتابعين, أما بعد:

فإني أحمد الله على ما وفقني إليه من الفراغ من هذه المذكرة الموسومة بـ: "السياق وأثره في فهم الحديث عند ابي العباس القرطبي من خلال كتاب المفهم "

وقد وصلت في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج, يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- اعتماد القرطبي على السياق بنوعيه المقامي والمقالي في فهم النص, ودفع البس والغموض عنه

2-إن للسياق ضوابط يجب مراعاتها كما ظهر ذلك من تطبيقات القرطبي .

3- للسياق عند القرطبي أثر في تطبيق القواعد النحوية ،و توجيه دلالة النكرة وفي فقه النص وتخصيص العام وتوجيه بعض الظواهر اللغوية كدلالة المفردة والمشترك .

4-أفاد السياق القرطبي في رد التأويلات البعيدة ،والفهوم الخاطئة ، والموازنة بين الاقوال والترجيح بينها وتجنب التأويل الخاطئ ،وانتحال المبطل ،والتحريف الغال.

5- السياق بنوعيه من ضوابط الفهم السديد لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وجودة الاستنباط.

6- حرص القرطبي على الإفادة من سياق الروايات الأخرى في توجيه الفاظه بناءً على قاعدة" أنَّ الأحاديث يفسر بعضها بعض" ،وقاعدة" أنَّ الأحاديث كالنص الواحد."

7-كانت عناصر سياق الحال كثيرة، ومهمة في توجيه الدلالة عند القرطبي ومنها: أسباب الورود، والناسخ والمنسوخ،سياق القصة ومقصد المتكلم وحال المخاطب وغيرها

8-اهتداء القدامى من المفسرين والمحدثين والبلاغين إلى السياق بنوعيه في مؤلفاتهم قبل أصحاب النظرية السياقية الحديثة

فهذه محاولة متواضعة أقدمها بين يدي الباحثين, فما كان فيها من نفع وصواب فمن الله عز وجل وما كان من خطأ فمن النفس, والعذر في ذلك أنه أول بحث لي في هذا المجال, والله من وراء القصد, وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث و الآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر و المراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

13	﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ﴾	10 3	النحل	49
14	﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾	82	الكهف	138
15	﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾	77-78	الكهف	138
16	﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾	10 9	الكهف	130
17	﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾	4	مريم	53
18	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ﴾	45	النور	100
19	﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴾	68	**الفرقان**	97
20	﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾	35	الاحزاب	106
21	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾	41	الاحزاب	106
22	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾	70	الاحزاب	أ
23	﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾	07	سبأ	100
24	﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾	20	يس	100
25	﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ	49	الجاثية	56
26	﴿ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارٍ﴾	35	الاحقاف	100
27	﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾	1	النجم	38
28	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾	4-3	النجم	أ
29	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾	4-3	النجم	58
30	إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾	08	الممتحنة	76
31	﴿ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾	04	التحريم	101
32	﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾	03	ن	100

33	﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾[	22	نوح	129
34	وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾	15	الجن	76
35	﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ ﴾	5-10	الليل	65
36	﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾	6-7-8	العاديات	50

فهرس الأحاديث و الآثار

رقم	الحديث	الراوي	الصفحة
.1	أتشفع في حد من حدود الله	عائشة رضي الله عنها	135
.2	أخبرني من هو خير مني؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار، حين جعل يحفر الخندق	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	117
.3	اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: هذا.يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاص، عهد إلي أنه ابنه.انظر إلى شبهه،وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله ولد على فراش أبي من وليدته	عائشة رضي الله عنها	136
.4	إذا التقى الختانان	أبوهريرة رضي الله عنه	87
.5	إذا حكم الحاكم فاجتهد	عمرو بن العاص رضي الله عنه	30
.6	إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى؟ ثلاثا أم أربعا؟	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	112
.7	إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم	عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه	112
.8	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه.	أبو هريرة رضي الله عنه	121
.9	أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض فأخبرها كيف	عائشة رضي الله عنها	49

	تغتسل قال: "		
.10	أن جدته مليكة، دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته، فأكل منه،	أنس بن مالك رضي الله عنه	96
.11	أَنَّ رجلا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ،	عبد الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه	82
.12	أنَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ على رجل من الأَنصار، فأَرسل إِليه، فخرج ورأسهُ يَقْطُرُ. فقال: " لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ	أَبِي سَعِيد الخدريّ رضي الله عنه	87-134
.13	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر على رجل من الأنصار ، فأرسل إليه ، فخرج ورأسه يقطر	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	87
.14	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتما من ذهب، فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه	عبدالله رضي الله عنه	108
.15	إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منه طائفة طيبة،	أبو موسى الاشعري رضي الله عنه	107
.16	إن نوفا البكالي يزعم أن موسى، عليه السلام، صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، عليه السلام.	عبد الله بن عباس رضي الله عنه	138
.17	إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض. فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي	ابن عباس رضي الله عنه	95
.18	انصبت قدماه في بطن الوادي	جابر بن عبد الله	38
.19	إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ	أبو سعيد الخدري	87
.20	أي الأعمال أفضل؟ قال "إيمان بالله" قال: ثم ماذا؟ قال "الجهاد في سبيل الله"	أبو هريرة رضي الله عنه	130

.21	أيام التشريق أيام أكل وشرب	نبيشة الهذلي رضي الله عنه	106
.22	أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما. إن كان كما قال	ابن عمر رضي الله عنه	94
.23	بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين، فمن لم يأت الدعوة،	أبو هريرة رضي الله عنه	105
.24	البينة على المدعي واليمين على من أنكر	ابن عباس رضي الله عنه	37
.25	تدنى الشَّمْس يَوْم الْقِيَامَة من الْخلق حَتَّى تكون مِنْهُم كمقدار ميل، قَالَ سليم بن عَامر فوَاللَّه مَا أَدْرِي	الْمِقْدَاد بن الْأسود رضي الله عنه	122
.26	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا؛ فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء،	حذيفة بن اليمان رضي الله عنه	116
.27	حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله	عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه	81
.28	خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فأهللنا بعمرة ثم	عائشة رضي الله عنها	62
.29	خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر-	أبي هريرة رضي الله عنه	94
.30	خير نسائها مريم بنت عمران. وخير نسائها	علي رضي الله عنه	98
.31	دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نغسل ابنته. فقال "اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك	أم عطية رضي الله عنها	119

.32	دخلت على بريرة فقالت إن أهلي كاتبوني على تسع أواق في تسع سنين، في كل سنة أوقية،	عائشة رضي الله عنها	65
.33	سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها.	عبدالرحمن بن عبد القاري رضي الله عنه	98
.34	شر الطعام طعام الوليمة. يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها. ومن لم يجب الدعوة، فقد عصى الله ورسوله	أبو هريرة رضي الله عنه	105
.35	عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (والنجم) فسجد فيها	عائشة رضي الله عنها	38
.36	فإذا كان العام المقبل إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع	عبدالله بن عباس رضي الله عنه	135
.37	فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر	ابن عمر رضي الله عنه	110
.38	فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا قال: ما لك ؟ قلت له فداك أبي وأمي،	سلمة بن الأكوع رضي الله عنه	98
.39	قاربوا وسددوا. ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة. حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها	أبو هريرة رضي الله عنه	103
.40	قال: موسى. قال: ومن موسى؟ قال: موسى بني إسرائيل. قال: مجيء ما جاء بك؟ قال: جئت	ابن عباس رضي الله عنه	101
.41	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها. وأحسنه خَلقا. ليس بالطويل الذاهب	البراء بن عازب رضي الله عنه	91
.42	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا	عائشة رضي الله	49

	اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ،ثم قال" ى "	عنها	
.43	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة. فمر على جبل يقال له جمدان.	أبو هريرة رضي الله عنه	106
.44	كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته،	عائشة رضي الله عنها	129
.45	كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليتني أرى نبي الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه. فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة.	يعلى بن أمية رضي الله عنه	111
.46	كان يكون على الصوم من رمضان. فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان؛	عائشة رضي الله عنه	92
.47	كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم،	عبد الله بن عباس رضي الله عنه	110
.48	كانت الأولى من موسى نسيانا". قال "وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة. ثم نقر في البحر	عبد الله بن عباس رضي الله عنه	1130
.49	كلمة حق أريد بها باطل	علي رضي الله عنه	79
.50	كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، معنا أبو بكر وعمر، في نفر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا،	أبو هريرة رضي الله عنه	121
.51	كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة، حتى نزلت: {وقوموا لله قانتين} (البقرة الآية-238) فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام.)	زيد بن أرقم رضي الله عنه	112

.52	لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا.	ابو هريرة رضي الله عنه	120
.53	لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل	ابن مسعود رضي الله عنه	102
.54	لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة	ابو هريرة رضي الله عنه	39
.55	لا هجرة. ولكن جهاد ونية. وإذا استنفرتم فانفروا	عائشة رضي الله عنها	95
.56	لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومرّه	أنس بن مالك رضي الله عنه	63
.57	لا يحل لامرأة، تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة ثلاث ليال، إلا ومعها ذو محرم	عبدالله بن عمر رضي الله عنه	102
.58	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن	أبو هريرة رضي الله عنه	125
.59	لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة	مطيع بن الأسود	77
.60	لا يلدغ المؤمن، من جحر واحد مرتين	أبو هريرة رضي الله عنه	137
.61	لما توفي سعد	عائشة	37
.62	اللهم أعط منفقا مال خلفا	أبو هريرة رضي الله عنه	65
.63	اللهم! آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار."	أنس بن مالك رضي الله عنه	114
.64	لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا	أبو هريرة رضي الله عنه	97
.65	ليس منا من ضرب الخدود. أو شق الجيوب. أودعا بدعوى الجاهلية	عبدالله بن عمر رضي الله عنه	118

.66	ليس منا من لم يتغن بالقرآن	سعد بن ابي وقاص	82
.67	مَا من صاحب ذهبٍ ولا فضَّة لا يؤدِّي منها	أبو هريرة رضي الله عنه	96
.68	من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه ف	جابر بن عبدالله رضي الله عنه	132
.69	من نسي وهو صائم، فأكل أو شرب، فليتم صومه. فإنما أطعمه الله وسقاه	أبو هريرة رضي الله عنه	126
.70	هي خير نسيكتيك. ولا تجزى جذعة عن أحد بعدك	البراء بن عازب رضي الله عنه	133
.71	والله! إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا	سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	118
.72	وتصل ذا رحمك	أبو أيوب الانصاري	38
.73	الوضوء مما مست النار	زيد بن ثابت رضي الله عنه	140
.74	يَا أَبَا بَكْرٍ ! إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا ، وَهَذَا عِيدُنَا	عائِشَةَ رضي الله عنها	114
.75	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا.	أبو هريرة رضي الله عنه	124
.76	يمنح أحدكم أرضه خير من أن يأخذ عليها خرَجًا معلومًا	جابر بن عبد الله رضي الله عنه	81

فهرس الأعلام المترجم لهم:

فهرس المصادر والمراجع

-القران الكريم برواية حفض عن عاصم

1) أثر السياق في توجيه شرح الاحاديث عند الحافظ بن حجر للطالب أحمد مصطفى أحمد الاسطل رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية ، غزة ، فهم اللغة العربية 1432-2011.
2) أثر السياق وجمع الروايات وأسباب الورود في فهم الحديث ضمن ابحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد و متطلبات التجديد، دراسة تطبيقية د/عبد الله الفوزان ج1.
3) إحكام الأحكام شرح عمدة الاحكام لابن دقيق العيد، ، ت: مصطفى سندس ، ط1، مؤسسة الرسالة 1424، 2005م.
4) الآراء الأصولية عند أبي العباس القرطبي من خلال كتابه المفهم"، ساعد غلاب، كلية أصول الدين بالخروبة، جامعة الجزائر تحت إشراف د/علي عزوز تمت مناقشتها سنة 2002
5) أراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم لـ: عبد الله بن محمد الرميان دار ابن الجوزي ط:1427
6) أساس البلاغة للزمخشري ، ت: محمد بابل ، عسون السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1419-1998
7) أسباب ورود الحديث ، تحليل وتاسيس د محمد سعيد، كتاب الأمة، عدد 37 ، ص102.
8) الاستقصاء لأخبار دور المغرب الأقصى ، ت: جغرافيا حري محمد الناصري ، دار الكتاب – الدار البيضاء : 1418-1997م.
9) أضواء البيان في إيضاح القران بالقران للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ت: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .
10) الأعلام : خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 2002 م.
11) أعيان العصر وأعوان النصر لـ: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ،تحقيق:د علي أبو زيد دار الفكر –دمشق- ط:1، - 1418 1998

12) الأنيس المطرب بروض القرطاس لعلي بن زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1972

13) البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1417 ه-1997 م.

14) بدائع الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

15) البرهان في علوم القران لبدر الدين الزركشي ، ت محمد ابو أبو الفضل ابراهيم دار التراث القاهرة

16) البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى الأندلسي ، ت: إحسان عباس دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ط3، 1983

17) البيان و التبيين لابي عثمان عمر بن بحر للجاحظ ت:عبد السلام محمد هارون.

18) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق، د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 1410 ه -1990 م.

19) تأويل مشكل القران أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276ه) إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

20) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: للحافظ عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي، **911** هـ، ت د. أحمد عمر هاشم ، تخريج أحمد عناية دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان **1427 -2006**

21) تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

22) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت: الصادق بن محمد بن إبراهيم.، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط**1**، **1425**ه

23) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د صلاح عبد الفتاح خالدي، دار القلم ، ط2 **(1429-2008).**

24) تفسير ابن كثير سير ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي دار طيبة **1422هـ / 2002م**

25) تفصيل الإجمال في تعارض الأقوال والافعال للحافظ صلاح الدين العلائي الدمشقي ت(761ه) تحقيق محمد ابراهيم الحفناوي دار الحديث القاهرة
26) التكملة لكتاب الصلة ، لابن الابار ، ت: عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة
27) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد البر (**463 هـ**) ت: سعيد أحمد أعراب، دار الحديث الحسنة (**1406 هـ -1985**) .
28) تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر. تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان **1996** م
29) توضيح المشتبه: شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان **1414** ه -**1993** م
30) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جريلي، أبو جعفر الطبري (**ت: 310هـ**) ،ت الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة :الأولى، **1422 هـ - 2001** م
31) الجامع الصحيح للامام البخاري ت/محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة الاولى 1422ه بيروت
32) الجامع لاحكام القران لأبي عبد الله القرطبي، ت: محمد ابراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة ، **2002-1423.**
33) الجامع لاخلاق الراوي للخطيب البغدادي ت: **463**ه، ت: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة
34) جمهرة اللغة لابن دريد ، ت (**361ه**) ، ت د : رمزي منير بلعبكي ، دار العلم الإسلامي ، بيروت، لبنان ، ط1.
35) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، ت: د عبد الفتاح محمد الحلو : هجر للطباعة و النشر و التوزيع والإعلام ط1.
36) الحداثة وموقفها من السنة ، رسالة الدكتوراه، الحارث فخري عيسى عبد الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط**1**، **1434**، **2013.**
37) الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي الأول لعبد اللطيف حمزة الهيئة المصرية للكتاب 2016
38) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية القاهرة **1387** ه- **1968** م

39) الحلل الموشية لمؤلف أندلسي ت سهيل زكرياء دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ط1.
40) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر، دار الجيل، بيروت لبنان **1414 ه-1993 م**
41) دلالة الالفاظ لـ:د ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو مصرية ط:**5- 1984م**
42) دلالة السياق و أثرها في فهم الحديث النبوي من خلال تطبيقات الأئمة د: عبد المحسن التخيفي ، مقال في كتاب الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف ، العدد 4 سنة **1430**، **2009**، كلية الدراسات العربية .
43) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د عبد الفتاح البركاوي أستاذ علوم اللغة جامعة الازهر .
44) دلالة السياق لردة الله الطلحي، جامعة أم القرى ، الطبعة الاولى ، **1423** المملكة العربية السعودية .
45) دلائل الاعجاز في علم المعاني للجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار **(ت: 471هـ)**،ت محمود محمد شاكر دار المدني بجدة ،ط :الثالثة **1413هـ - 1992م**
46) دولة الموحدين للدكتور علي الصلابي، دار البيارق للنشر ، عمان.
47) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن بن فرحون المالكي، تحقيق د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة
48) ذيل مراة الزمان لقطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني ت 726 هـ،وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، **:**دار الكتاب الإسلامي، القاهرة **ط** 2، **1413 هـ - 1992** م
49) رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي في المغرب والمشرق لسليم القدوري ، مجلة مكتبه فهد الوطنية مج1، ع2 ذو الحجة 1426 أغسطس 2005، ص180
50) الرسالة محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دون تاريخ.
51) سبل السلام شرح بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية **1421** ه
52) السلوك لمعرفة دول الملوك: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت **1418 ه -1997** م.
53) السنة النبوية الشريفة و مستويات التمام السياقي مقاربة لسانية تداولية من ضمن ابحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد و متطلبات التحديد، **ج1، ص 383.**

54) سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة د:أسعد خلف العوادي ص: **139**دار الحامد عمان ط1 :**2001**، **1432**

55) السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والادب الجزائري جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر الاستاذة غنية تومي جامعة معسكر، العدد **6-2010**

56) السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث لــ:د ياسر الشمالي، مجلة دراسات العلوم الشرعية والقانونية الاردن مجلد **3 العدد 1-2011**

57) السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثية ، لابراهيم أصبهان ، مجلة الاحياء ، مجلة فصيلة تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، العدد **25** ، جمادى الثانية **1428**، يوليو **2007**.

58) السياق عند الاصوليين ، المصطلح والمفهوم لـ: فاطمة بوسلامة، مجلة الاحياء 25.

59) السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير وابن كثير نموذجا لـ محمد المهدي، حمامي رفاعي.رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير جامعة حلب

60) السياق و تطبيقات الاستدلال في بيان السنة النبوية عند الامام أبي العباس القرطبي ، الاستاذة فاطمة قاسم، ، مجلة المعيار ، العدد**39**، مجلة تصدر عن كلية أصول الدين ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة – الجزائر – رمضان **1437** – جوان **2015**.

61) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومجموعة من الباحثين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، **1402هـ – 1982** م

62) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية :محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ت **1360**هـ ،علق عليه :عبد المجيد خيالي دار الكتب العلمية، لبنان ط :الأولى، **1424 هـ - 2003** م

63) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت **1406** ه **-1986** م ،

64) شرح الأشمونى لألفية ابن مالك أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي ت(**900ه**)**-** دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط: الأولى **1419هـ-1998م**

65) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري ت :طه عبد الرءوف سعدالناشر :مكتبة الثقافة الدينية - القاهرةالطبعة :الأولى، **1424هـ - 2003م**

66) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لـ علاء الدين بن بلبان الفارسي ت **739** هـ تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، **1414**، **1993** بيروت،
67) صحيح مسلم للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج دار طيبة الطبعة الاولى 2006
68) الطالع السعيد كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي (ت**748**هـ) تحقيق: سعد محمد حسن ـ طه الحاجر ،الدار المصرية للتأليف و الترجمة
1961م.
69) طبقات الحفاظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: **911**ه) دار الكتب العلمية – بيروت ط**1**، **1403**.
70) طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، دار هجر، الجيزة جمهورية مصر العربية، **1413**ه
71) طبقات الفقهاء الشافعية لابن كثير ، ت أحمد عمر هاشم مكتبة الثقافة الدينية (**1413-1993**).
72) طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: **806**ه) ، دار إحياء التراث العربي.
73) العربية وعلم اللغة الحديث لـمحمد محمد داوود محمد محمد داود دار غريب للطباعة والنشر **2001**
74) علم الدلالة أحمد مختار عمر أستاذ علم اللغة جامعة القاهرة عالم الكتب ط5
75) علم الدلالة النطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، **2007-1427**
76) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، **2000**.
77) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت عبد العزيز ابن باز ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت.
78) قرينة السياق : د تمام حسان تحت قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم ، مطبعة عبير الكتاب ، القاهرة، **1413-1993** ،
79) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ت:**630**ه دار الكتب العلمية بيروت ،ط:**1**(**1407-1987**)

80) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
81) الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ط:**1**، **1984م-1404ه**
82) كيف نتعامل مع السنة، د يوسف القرضاوي، دار الشروق **1423 - 2002**
83) لسان العرب لابن منظور ، ت: عبد الله علي الكبر، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشادلي ، دار المعارف : القاهرة .
84) اللغة العربية، معناها و مبناها، للدكتور تمام حسان.
85) اللغة فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدارحلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، **1940.**
86) اللغة ونظرية السياق، علي عزت.
87) متن الفية العراقي –التبصرة والتذكرة ت: عبد الله بن محمد الحكمي
88) مراعاة السياق واثره في فهم السنة النبوية، د فاروق حمادة ، مجلة الاحياء ، مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء ، المغرب، عدد **26 نوفمبر 2007.**
89) المزهر في علوم اللغة العربية لجلال الدين السيوطي ت: فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية - الأولى، 1418هـ 1998م بيروت
90) المطول شرح تلخيص المفتاح التفتازاني مسعود بن عمر 791هـ ، دار الهادي ، بيروت ،**2003** .
91) معاني النحو لــ:د فاضل صالح السمرائي.دار الفكر للنشر والتوزيع ط:**1**(**1420**-2000) عمان الاردن
92) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ت 647 هـ ، ت: محمد سعيد العريان، الجمهورية العربية المتحدة لجنة إحياء الشركات،
93) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت **1414 ه -1993** م
94) المعجم الوسيط ، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، ط4، 1425-2004.
95) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ت (**395** هـ) ، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع.

96) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية ط1، (**1417 هـ 1997م**)
97) معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم **(ت 405هـ)** ت السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية – بيروت ط**2**، **1397هـ - 1977**
98) معيد النعم ومبيد النقم للقاضي تاج الدين السبكي **771** هـ، موسوعة الكتب الثقافية ، **ط1-.1986.**
99) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أبي العباس القرطبي ت: **656**ه ، ت: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
100) المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت محمد عبد الخالق عضيمة وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة **1415 - 1994**
101) مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمان بن خلدون ، ت: **808**ه، ت: أحمد جاد، ط1 (**1428-2007**) ، دار العدل الجديد ، القاهرة.
102) المقفى الكبير تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي دار الغرب الإسلامي الطبعة1 ، **1991**
103) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني ت **1367**ه- **:**مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، **ط3**
104) منهج السياق في فهم النص ، عبد الرحمن بودع ، طبع ضمن سلسلة كتاب الامة التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بقطر، رقم الكتاب **111** ، **ط1**، سنة **1427**
105) موسوعة تاريخ الأندلس د/حسن موسى ، **ط1**، **1996** ، مكتبة الثقافة
106) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب أحمد محمد المقرّي التلمساني ، تحقيق: د/إحسان عباس (**1408ه – 1988م**)، دار صادر، بيروت.
107) النكت على مقدمة ابن الصلاح: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، الرياض **1419** ه **-1998** م.
108) الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان **1420** ه **-2000** م
109) الوساطة بين المتني و خصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني،ت:محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاءه

فهرس الموضوعات

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين وبعد:

إن المتأمل لدلالة السياق ،واعمالها عند المحدثين ليعلم يقينا أهميتها في فهم الحديث, وقد نبه عليها الإمام بن دقيق العيد فقال :"السياق طريق إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات وتنـزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة من قواعد أصول الفقه، ولم أر من تعرض لها في أصول الفقه بالكلام عليها ،وتقرير قاعدتها مطولة إلا بعض المتأخرين ممن أدركنا أصحابهم ،وهي قاعدة متعينة على الناظر ذات شعب على المناظر "

وأكدَّ ابن القيم كذلك على أهميتـــه فقال:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص

العام، وتقييد المطلق ،وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره ،وغالط في مناظرته "

وقد جاءت هذه المذكرة لتبرز اهتمام علم من اعلام الاندلس بهذه الدلالة ،واثرها عنده في فهم الحديث فكانت موسومة ب:السياق وأثره في فهم الحديث عند ابي العباس القرطبي من خلال كتابه المفهم

جاءت هذه المذكرة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالي:

- **مقدمة**: وتشمل أهمية الموضوع, وأسباب اختياره, وإشكالية البحث والدراسات السابقة, ومنهجية البحث والصعوبات ثم خطة البحث.

- **الفصل الأول**: بدأت هذا الفصل بالتعريف بالإمام القرطبي وكتابه المفهم حيث تناولت في المبحث الاول التعريف بالقرطبي, فذكرت أنه علم من أعلام الأندلس في القرن السابع الهجري, في ترجمة موجزة عنه ابتدأتها :

- **عصر الإمام القرطبي** وركزت فيه على الحالة السياسية وأهم المحطات التي عاشها القرطبي بالاندلس ،ثم بمصر وحصار الفرنج لها ،كما تكلمت عن الحالة العلمية بالاندلس وأثرها في نبوغ وتحصيل القرطبي.

-**حياته الشخصية** : أحصيت معظم الكتب التي ترجمت للقرطبي ،وتتبعت ألقابه ورددت بعض منها ، كلقب ضياء الدين الذي ليس له وانما أطلقه عليه ابن عبد الملك المراكشي لتشابه بينه وبين أحمد بن محمد بن عمر بن يونس الانصاري القرطبي .

وتكلمت أيضا عن ولاته، ونشأته، وأسرته ،وأخلاقه، ووفاته رحمه الله .

-**حياته العلمية** تكلمت فيها عن رحلاته العلمية إلى المغرب والمشرق وشيوخه ، وتلامذته وثناء العلماء عليه ومؤلفاته التي ناهزت 14 سفرا .

أما المبحث الثاني فعرجت فيه على التعريف بكتاب المفهم ؛ وذلك بـــ:

-**وصف عام للكتاب** وتكلمت فيه عن عنوان الكتاب ،والباعث على تأليفه ، وقيمته العلمية ،وذلك من خلال كثرة النقول عنه فهو مادة خصبة استفاد منها العلماء، كابن حجر العسقلاني، والزين العراقي، والامام الزرقاني وغيرهم .

- **موارد المؤلف** :وبينت فيه أن المفهم يعبر مصدرا مهما لكثير من الأمهات بعضها في حكم المفقود وبعضها ميسر موجود ،من كتب السنة وغريب الحديث، وكتب الفقه واللغة والتاريخ .

-**منهج الامام القرطبي** في المفهم يعتبر المفهم حافل و ملئ بالنكت العلمية والفوائد الإسنادية ، وركزت على شرحه لغريب الحديث ،ونقد الاسانيد واهتمامه بالنحو والاعراب ....
الفصل الثـــــاني: تكلمت فيه عن السياق مفهومه وأصوله وأنواعه, فبدأت في المبحث الأول ب:
-**تعريف السياق لغـــة** : أصل مادة السياق تدور حول التتابع ولحاق الشيء بالشيء وتسلسله واتصاله به .
-**واصطلاحا**: حيث يدور المعنى الاصطلاحي حول السابق واللاحق في النص ،أو ماسبق أو ماتأخر من جملة أو كلمة، أو كل مايحيط بالنص .
-**الالفاظ التي يعبر عنها بالسياق** كاللسان والنظم وسياق النظم
أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه أصول النظرية السياقيـة وذلك من خلال السّيـاق عند **المتــقدميـــن** كالبلاغيين الذين تجلى اهتمامهم واعتنائهم بالسياق على فكرة مقتضى الحال ، والعلاقة بين المقام والمقال، فالحال عند البلاغيين باعث على مراعاة خصوصية في الكلام لتطابقها وعند التطابق يتنزل الحال في النص لغويا فتتم البلاغة ،واهتموا أيضا باحوال السامع والمتكلم ومراعة احوال المخاطبين .
واهتم الأصوليون أيضا بالسياق حيث يعتبر أحد أدوات الاستدلال الاصولي التي لها أهميتها البالغة في الكشف عن مراد الله تعالى

كما اهتم المفسرون أيضا بالسياق و قد كان أول من أشار إلى السياق من الأصوليين الإمام الشافعي؛ الذي يعد أول من ألف في علم الأصول حيث بوب بابا في كتابه الرسالة فسمّاه :**الصنف الذي يبين سياقه معناه"**
يقول الزركشي :ومايعين على معرفة المعنى عند الاشكال ..دلالة السياق ويدل عليه ماقبله ومابعده" واشترطوا في المفسر علوما لابد ان يكون محيطا بها كالعلم باللغة والنحو والاشتقاق وعلوم البلاغة والناسخ والمنسوخ ....الخ وكل هذا ينتج تحت مفهوم السياق
ثم السياق عـند المحـدّثيـن ثم السّياق عند علماء اللغة المحدَّثين
ثم تناولت في المبحث الثالث أنواع السياق ،وبنيته فبينت في المطلب الاول سياق المقال وفيه :
مفهومه وبنيته التي تتشكل اساسا من :

- المستوى الصوتي : وتناولت فيها النبر،والتنغيم ،والوقف
- المستوى الصرفي : وانها دلالة تستمد عن طريق الصيغ وأبنيتها
- المستوى النحوي : هو الذي يبحث في العلاقات النحوية بين الكلمات والتغيرات الطارئة على عناصرها ،بتقديم أو تأخير أو حذف
- وبنيت ثم في المطلب الثاني سياق المقام ويسمى أيضا بسياق الموقف أو سياق الحال أو السياق الخارج عن النص أو السياق الاجتماعي وهو يمثل البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب ومابينها من عرف سائد يحدد مدلولات الكلام

وبينت بنيته :
1-المتكلم
2-المخاطب
3-اسباب الورود
4- النسخ
وهذا الفصل بين هذه العناصر هو فصل اجرائي يستدعه البحث عن كل عنصر ومقوماته وإلا فهي متداخلة وتشكل حلقة متكاملة
الفصل الثالث: بينت فيه تطبيقات دلالة السياق عند القرطبي في المفهم , حيث ذكرت في المبحث الأول **سياق المقال وأثره في توجية دلالة الاحاديث عند القرطبي ،**

وفيه أثر سياق المقال في تطبيق القواعد النحوية وفيه
1- الضبط النحوي للمتن الحديثي
2- الكشف على أي شيء يعود الضمير
أ-عودة الضمير على أقرب مذكور
ب-عودة الضمير على اكثر من مذكور
ج- عودة الضمير على غير مذكور
د- عودة الضمير على أبعد مذكور
-أثر سياق المقال في توجيه دلالة النكرة ومن اغراضها عند القرطبي:
1-الجنس :
2-للتعظيم والتفخيم:
3- النكرة في سياق النفي تعم
4- النكرة في سياق الشرط تعم
- أثر سياق المقال في تحديد الدلالة
ثم أثر سياق المقال في فقه النص وفيه :
-1-جودة الاستنباط:
2 - استبعاد التأويلات الغريبة والرد على المخالف
- أثر سياق المقال في تخصيص العام
- أثر السياق في توجيه بعض الظواهر اللغوية وبينت فيه :
1- أثر السياق في توجيه دلالة المفردة
2- أثر السياق في توجيه دلالة المشترك
- أثر سياق جمع الاحاديث في توجيه الدلالة
بينت في المبحث الثاني سياق المقام وأثره في توجية دلالة الاحاديث عند القرطبي وذلك من خلال:
مقصد المتكلم وأثره في توجيه دلالة الحديث
حال المخاطب وأثره في معرفة دلالة الحديث
أثر دلالة سياق الحال في ضبط النص
أثر سياق الورود في توجيه دلالة الحديث
أثر سياق القصة في توجيه دلالة الحديث
أثر سياق النسخ في توجيه دلالة الحديث.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها, والتوصيات التي خرجت بها, وذيلت البحث بفهارس هي: فهرس الآيات, فهرس الأحاديث, فهرس الأعلام المترجم لهم, فهرس المصادر والمراجع, فهرس المواضيع.

Summary :

Praise to Allah, Lord of the Worlds , Peace and blessings be upon the leader of prophets and the imam of messengers:

The meditator In context connotation and its implementation at the tellers of Hadith will know its importance in understanding the Hadith. And this was pointed out by **Imam Bin Daqiq al-Eid** when he said: " The context is a way to declare totalities, assign possibilitiesand to upload the speech on the intended. Understanding that is one of the rulesof principles of jurisprudence. I have not seen anyone who has been spoken about it in the fundamentals of jurisprudence except some of the latecomers whom we knew their friends. it is a definite rule to the beholder with branches for the debator ".

Ibn al-Qayyim also stressed its importance when he said: "The context guides to the definition of the totality, design the potential,determinate the possibility of non-intended, specify the general, restriction of the absolute, and the diversity of significance. and this is one of the greatest clues to the intent of the speaker, and whoever neglects it is mistaken, and it is wrong to argue with him".

The graduation memo in your hands intend to highlight the interest of one of the greatest in Andalusia in this sense, and its impact for him in understanding the hadeeth. It was characterized by: The Context and its impact on understanding the Hadith- **Abi Abbas Al-Qurtubi-** through his book **(the understanding).**

This memo is presented in an introduction, three chapters and a conclusion as follows:
- Introduction: which includes the importance of the subject, the reasons for this choice, the problem of research and previous studies, research methodology and difficulties and then the research plan?

- Chapter I: This study began by this chapter to introduce the **Imam al-Qurtubi** and his book **(the understanding),** where I dealt in the first topic with the definition of al-Qurtubi, as one of the greatest scientists of Andalusia in the seventh Hijri century, I began by the era of **Imam al-Qurtubi** , his personal and scientific life and then his writings, In a brief biography. As for the second topic, it revealed the introduction of the book of **(the understanding);** With a general description and author resources and methodology.

Chapter 2: I spoke about the context, its definition, origins and types, I started in the first section with the definition of the context, concept and terminology, and then the words expressed in this context. In the second section i mentioned the origins of contextual theory through the context of the applicants, such as the linguists, interpreters, and ascetics and i mentioned how much they took care of it. Then the context in the eyes of the tellers of Hadith and linguistics tellers of Hadith. In the third topic i dealt with the types and structure of the context.

In the first requirement, I talked about the context and structure of the article , then in the second requirement the context and structure of the place .

chapter 3 shows the applications of the significance of the context in **(the understanding);**of **Imam al-Qurtubi**. In the first section, I mentioned the context of the article and its impact on the direction of the significance of the hadith, of al-Qurtubi. With the effect of the context of the article on the application of grammatical rules,in the direction of the significance of the negation, in determining the significance, in the jurisprudence of the text, in the specification of the general , in the direction of some of the linguistic phenomena and the effect of the collection of Hadeeth in the direction of significance.

Then I explained in the second section the context of the place and its impact in the direction of the significance of the hadiths of **al-**

Qurtubi, in which the intention of the speaker and its impact in guiding the significance of the hadeeth. Then the status of the addressee and its impact on knowing the significance of the hadeeth , then the effect of the context of the incoming in the orientation of the significance of the hadiths and the context of the transcription in the orientation of the significance of the hadiths.

Conclusion:

In which I mentioned the most important results and recommendations that came out, and I finished the search with indexes: Index of verses, the index of Hadiths, index of the scientists of whom books are translated, the index of sources and references, the index of topics.

ISLAMIC SCIENCE FACULTY
DEPARTMENT OF BELIEFS AND RELIGIONS

The context and its effect on understanding Hadith , through the book titeld the understanding of Abu el abbas al qurtubi

In silamic sciences speciality kitab wa sounnah

Done by the student:
HAMZI RAFIK

Supervisor:
Dr: Belkheir Hodbi

Dr. HoreyA Abib ………………………..,,,	Président
Dr. Belkheir Hodbi ………………	supervisor
Dr. Fatima Zahraa Sawak ………	Member

2016/2017

UNIVERSITY OF ALGIERS 1
ISLAMIC SCIENCE FACULTY
DEPARTMENT OF BELIEFS AND RELIGIONS

The context and its effect on understanding Hadith , through the book titeld the understanding of Abu el abbas al qurtubi

Dissertation presented to obtain magister degree
In silamic sciences speciality kitab wa sounnah

Done by the student:
HAMZI RAFIK

Supervisor:
Dr: Belkheir Hodbi

2017 – 2016

UNIVERSITY OF ALGIERS 1
ISLAMIC SCIENCE FACULTY
DEPARTMENT OF BELIEFS AND RELIGIONS

The context and its effect on understanding Hadith , through the book titeld the understanding of Abu el abbas al qurtubi

Dissertation presented to obtain magister degree
In silamic sciences speciality kitab wa sounnah

Done by the student:
RAFIKHAMZI

2017 - 2016